نبيل زكي

الأكراد

الأساطير والثورات والحروب

المشرف على التحرير :
جمال الغيطاني



• العدد ٨ •

مطبوعات

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

سلسلة الشوامخ

رئيس مجلس الادارة

ابراهيم سعده

العدد ذو القعدة ١٤١١ هـ

٨ يونيو ١٩٩١ م

حزيران

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

■ الغلاف : محمد عفت

مقدمة

شاءت ظروف كاتب هذه السطور ان يشهد لحظة درامية مكثفة فى التاريخ العربى الحديث . فقد امضيت عاما ونصف عام بين سنتى ١٩٧٣ و١٩٧٥ فى العراق ، وكانت تلك هى فترة انهيار اول محاولة فى التاريخ العربى ـ الكردى لاقامة حكم ذاتى للأكراد .

كان ثمة فضول يتملكنى لمعرفة المزيد عن الأكراد عندما وصلت الى بغداد لأول مرة ..

قد يرجع هذا الفضول الى متابعة وقائع تاريخية منذ قدم محمد على الكبير مساعدته للأكراد فى عام ١٨٣٠ خلال حربهم ضد الدولة العثمانية . ففى تلك الحقبة من القرن الماضى ، ساعدت مصر ـ بخبرتها ـ الأكراد فى صناعة أسلحة منها مدافع .

ومازالت قطع مدفعية مصنوعة بالخبرة المصرية توجد حتى الآن فى متاحف العراق .

وقد يرجع هذا الفضول الى وقفة الشعب الكردى ، مع الشعب العربى فى العراق ، الى جانب مصر فى معركتها ضد العدوان الثلاثى عليها وتنظيم المظاهرات ضد ذلك العدوان مما دفع السلطة العراقية الموالية للانجليز ـ قبل ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ الوطنية فى العراق ـ إلى تقديم قادة الحزب الديمقراطى الكردستانى الى المحاكمة .. ولم تمض سنوات معدودة حتى اشترك الطلبة الأكراد فى إضرابات المدارس والكليات .. دعما لنضال الجزائر الوطنى عام ١٩٥٩ .

كنت أشعر بأن الشعب الكردى يمكن أن يلعب دورا حضاريا بارزا فى هذه المنطقة من العالم ..

وقد لعب بالفعل . وأكبر دليل على ذلك هو محرر بيت المقدس .. صلاح الدين الأيوبى اشهر كردى فى التاريخ .. وعمه « شركوه » . بل ان المقاتلين الأكراد كانوا يشكلون قوة هامة فى معارك العرب ضد الغزاة الصليبيين وضد الغزوات القادمة من آسيا ..

ويكفى لاثارة الاهتمام بالأكراد أن نكتشف أن من ذوى الأصل الكردى عمالقة من أمثال امير الشعراء أحمد شوقى وكاتبنا الكبير عباس محمود العقاد واديبنا الشهير محمود تيمور والشاعرين العراقيين الكبيرين معروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى والمفكر السورى محمد كرد على وحتى فى مجال الموسيقى ، لا يمكن اغفال ذكر ابراهيم الموصلى وتلميذه زرياب ..

لقد قدم الأكراد مساهمات قيمة فى الحركات الوطنية العربية ولعبوا ادوارا مشهودة فى الحياة السياسية وفى الحضارة والثقافة الاسلامية .

وتكفى الاشارة الى المؤرخين الكبيرين : ابن خلدون وابن الأثير ..

الأكراد .. ؟

من هم هؤلاء الأكراد الذين ظهروا فجاة فى مقدمة مسرح الأحداث فى المنطقة الآن واصبحت مأساتهم وحكاياتهم على كل لسان .. وفى كل وقت فى وسائل الاعلام فور سكوت المدافع فى جبهة الخليج ؟

كانت فترة إقامتى فى العراق فرصة سانحة لكى التقى بشخصيات المجتمع الكردى ..

وكنت قد قرأت ما قاله الرحالة « ماركو بولو » فى وصف الأكراد بانهم « جيل شرير يحقق متعته بقتل التجار » !! وكذلك ما نسبه الأمريكيون الى « قول عربى مأثور » يزعم أن الأخطار الداهمة الثلاثة التى تواجه العرب هى :

« الفئران والجراد .. والأكراد » !

وشعرت بعد التعرف على الشخصية الكردية بمدى الاجحاف والظلم الذى تعرض له الأكراد على مر السنين ..

والأكراد يجدون أنفسهم دائما .. فى المصيدة . فهم محاصرون بدول أقوى تحرص على الابقاء على الأوضاع كما هى . وتعقدت المشكلة الكردية واكتسبت طابعا مأساويا أكثر فأكثر ..

من أين جاء هؤلاء الأكراد ؟ وما هى قصتهم ؟ وهل يشكلون شعبا وقومية ؟ وماذا تعنى « كردستان » والصراع حولها ؟ وما هى قصة محاولات إقامة دولة كردية مستقلة على مر العصور ..

انها مجرد محاولة لاستطلاع أبعاد المسألة الكردية ..

والتقيت بكل الأطراف في العراق الحزب الديمقراطي الكردستاني - حزب البعث - الحزب الشيوعي العراقي .

وحتى هؤلاء الذين انشقوا عن الحزب الديمقراطي الكردستاني بتشجيع وتحريض من حزب البعث ، مثل هاشم عقراوي . التقيت بهم وتحدثت معهم ساعات طويلة في محاولة لفهم ما يجرى واستكشاف ما خفي من جوانب المشكلة الكردية وحقيقة الخلافات والصراعات الجارية والمحتدمة

كانت المهمة صعبة لأن الأطراف في ذلك الوقت كانت لاتزال تجتهد للمحافظة على « شعرة معاوية » بين بعضها البعض ، ولم تكن قد قررت - بعد - تفجير الموقف بكامله وقلب الموائد على الرؤوس واستئناف الحرب ..

وشاءت الظروف أيضا أن أشهد الانفجار - وأضع يدي على حقائق وخلفيات كثيرة تتحكم في مسار النزاع العربي - الكردي .

وقد أثبت تطور الأحداث أن استنتاجاتي كانت صحيحة في تلك الفترة وهي أن المشكلة الكردية أصبحت من التعقيد بحيث لا يصح اعتبار أن طرفا من الأطراف محق تماما في موقفه وأن طرفا آخر مذنب بنسبة مائة في المائة .

كذلك كان من قبيل الاستهانة بالحقيقة ، التغاضي عن العوامل الخارجية في الصراع الكردي - البعثي داخل العراق . وجاء وقت كانت فيه هذه العوامل الخارجية تلعب الدور الأساسي في تحريك الخيوط وراء كواليس المسرح ، خاصة وأن احد جوانب التراجيديا الكردية هي استخدام دول كبرى وامبراطوريات للأكراد كأدوات مؤقتة لتحقيق مصالح معينة في مراحل محددة ، ثم توجيه اقسى الضربات لهؤلاء الأكراد في مراحل أخرى . وكان من الواضح أن جزءا من التخطيط الخارجي للمشكلة الكردية يرجع الى نفس الفلسفة السياسية التي تعمل دوما على تفتيت الدول ليسهل السيطرة عليها .



ومن المحتمل أن تكون المسألة الكردية جزءا من نفس خطة تقسيم السودان الى قسمين والحد بينهما بخط عرض ١٢ شمالا .. وترك ولاية كشمير معلقة بين الهند وباكستان .. وغرس دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى .. مع عرقلة ممارسة الشعب الفلسطينى لحقه فى تقرير المصير ..

غير ان سقوط بيان ١١ مارس ١٩٧٠ ومشروع الحكم الذاتى لكردستان العراق يرجع الى الدسائس الأجنبية وعمليات التحريض الخارجية من جهة بقدر ما يرجع الى إصرار حزب البعث العراقى على احتكار السلطة باعتباره « قائد العرب والأكراد » ورفضه إقامة الديمقراطية فى العراق سواء للأكراد أو للعرب .. وإقدامه على تصرفات أدت الى انهيار الثقة مثل نقل مجموعات بشرية من مكان الى مكان كجزء من خطة لتشتيت الأكراد .

وقد أكدت التجربة أن حزبا سياسيا لا يؤمن بالديمقراطية هو حزب عاجز تماما عن حل مشكلة الحقوق القومية للأقليات ، ولذلك تنفجر من الداخل المجتمعات متعددة القوميات والأعراق والأديان إذا ساد بلد ما نظام ديكتاتورى يرفض مشاركة القوى السياسية الأخرى فى السلطة .. وإذا تبنى مثل هذا الحزب أسلوب احتكار الأغلبية لكل شىء فى مجالات الحياة والنشاط والعمل السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

كما أكدت التجربة أن القيادة الكردية سارت وراء أوهام تحالفات « تكتيكية » أحيانا .. وتحالفت مع أية « شياطين » فى أحيان أخرى لتساعدها على مواجهة السلطة فى بغداد .. غير أن هؤلاء الشياطين كانوا يتحركون بدوافع وأهداف لا علاقة لها بمصلحة الشعب الكردى .

والدليل على ذلك أن اتفاقية الجزائر التى وقعها صدام حسين مع شاه ايران أدت الى تخلى إيران عن أى مساندة للأكراد . وكان الدافع الرئيسى والمباشر للحكم العراقى من ورائها هو قمع الثورة الكردية بالتحديد ..

وعندما وقعت الحرب العراقية ـ الايرانية .. عرض الحكم العراقى المساعدة على أكراد ايران ليقاتلوا ضد حكومتهم .. وأقدمت ايران الخومينية على نفس السلوك !

● ● ●

واستمر النزيف الكردى منذ منتصف السبعينات وحتى نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات . وعندما اقتربت السلطة العراقية من هاوية السقوط عقب حرب الخليج .. تفجرت المشكلة الكردية من جديد بكل تفصيلاتها الحزينة المفجعة ..

وكان السؤال الهام فى هذه المرة هو :

هل ستظل الدول الأجنبية تعمل دائما على استغلال المشاعر والمطامح القومية الكردية المشروعة كأدوات ووسائل للضغوط والمناورات والمساومات فى سوق المنافسات الدولية أو لتمرير مخططات معينة .. أم سيتمكن الأكراد من فرض قضيتهم على العالم وسوف ينتزعون بأيديهم وبالاعتماد على أنفسهم حقوقهم التى طال أمد إهمالها ؟

وهل سيتعلم الأكراد من دروس التاريخ وتجاربهم الماضية أم سيعيد هذا التاريخ نفسه وكأن شيئا لم يحدث ؟



تمهيد

ملحمة كاوه العظيم

الثلج بدأ يتساقط ، الفلاحون الجياع يرتجفون من الضياع والجوع ، الأطفال حفاة ، عراة ، جوعى ، الأمهات المرضعات لا تدر أثداؤهن اللبن لأطفالهن ..

لقد أخذ الطاغية « الضحاك » وأتباعه كل ما يملك الشعب ، حتى الفتيات العذارى سلب منهن أعز ما يملكن .. الأسواق خالية مقفرة . الرجال يتحدثون فى همس . ويختبئون عند مشاهدة الطاغية ..

هنا تبدأ ملحمة « كاوه » العظيم ، فى مواجهة الديكتاتور الذى يحكم إيران بالحديد والنار ، وتمضى الأيام ، ويسقط الطاغية صريع مرض عضال ، ويعالجه طبيب يهودى ويصف له الدواء ، ويوصى الطبيب بأن يمسح الطاغية جسده يوميا بدم مخ شابين من شباب الأكراد حتى يكفل لنفسه ديمومة الحياة ، وينفذ الطاغية الجلاد نصيحة الطبيب اليهودى المتعطش للدماء ، ويذبح شابين فى كل يوم ، ويستمر هذا الحال لعدة سنوات ، وتشاء الأقدار أن يجىء دور آخر أبناء « كاوه » السبعة الذين ذبحهم الطاغية جميعا .. ويخرج « كاوه » الحداد ، حاملا مطرقته لينادى فى الناس معلنا الثورة ..

هذا الحداد القوى البنية ، الذى يحيل كتل الحديد الى فؤوس وسيوف ومناجل ، لا يخاف ولا يهاب ، ورغم أن الرجال كانوا يخشون الحديث معه حتى لا يصبحوا فريسة لغضب الطغاة ، إلا أن الحداد « كاوه » يعلمهم كيف يثورون على الظلم ـ انه يريدهم أن يكونوا يدا واحدة ورأيا واحدا ، لكى يتمكنوا من توجيه أعنف ضربة للطاغية .

ثار « كاوه » الحداد وهو يرى الأطفال العراة ، والنساء الذابلات وهن في ربيع أعمارهن ، تألم واشتعل غضبا .. قال للرجال : يجب أن يسند بعضنا بعضا بهذه السيوف ، وسنحرر الأرض ونعيدها ، علينا أن نبذل الدماء سخية ، ولكي يكون الموت حقا وعدلا يجب أن تكون الحياة عادلة ، وعليكم أن تسيروا معي لنحقق النصر ..

ويقدم « كاوه » السيوف والفؤوس إلى أهله وإخوانه . وتقول الأسطورة الكردية القديمة أن « كاوه » كان يصرخ في الجبال والوديان . ويذيب الجليد ، ويسير على الأرض ، فتتدفق المياه بدل الدماء ، ويلمس الأشجار اليابسة فتصبح خضراء وتعود الى الحياة ، ويمضي بين الجبال والكهوف ويحرر الأرض والعبيد ويتبع الطغاة ويلاحقهم بسيفه البتار ..

وتثور الشعوب الايرانية لثورة الحداد في كل مكان، وتسير الجموع الى قصر « الضحاك » ..

وتقتل الملك الطاغية ومن يتبعه من النبلاء والوزراء وتشعل النار في أعلى قمم الجبال اعلانا عن الانتصار .

وبعدها يظل الأكراد يتغنون بكاوه الحداد :

« العشب ينمو ، وعيون المياه تنفجر تحت أقدام كاوه » ..

وتقول الأدبيات الكردية أن كاوه هو نشيد التحدي في عنفوانه . وانه الأمل لشعب مسحوق في عالم مقيت ومتفسخ ، وأنه بين حنايا كاوه يتفجر الحق ، ومن نظراته يزغرد الأنين .. وتحت اقدامه ينفطر قلب الشك ومن يمناه يسطع اليقين ..

وعيد « نوروز » القومي هو عيد انتصار الشعب الكردي بقيادة كاوه البطل على حكم الاستبداد والطغيان قبل أكثر من خمسة وعشرين قرنا .

وهناك تفسيرات عديدة لأصل هذا العيد ومغزاه ، ولكن معظمها يشير الى ثورة الشعوب الايرانية ، من الفرس والأكراد والأذربيجان بقيادة كاوه الحداد ..

ويقال أن « نوروز » الكردي هو « أوزوريس » المصري وانه « دموز » السومري وهو نفسه « تموز » البابلي ، كما انه هو الذي انتقل الى « جبيل » الفينيقية باسم « أدونيس » ..

فى الأدبيات الكردية ، جاء فى تاريخ معارك الاكراد مع الايرانيين
« .. أخذ الطاغية يفرض ضرائب فادحة على الاهلين ، وبدأ الجيش بالتعدى على عفاف النساء والفتيات ، واستفحل الظلم والطغيان والسلب والنهب والعبث بمقدرات الأكراد بشكل لم يسبق له مثيل كأن السكان هم سبايا أو رهائن » ..



الشجرة والفقراء

ومن خلال هذه السطور ، تتكشف امكانات الخيال الحاذق فى مواجهة الموت والاستبداد ، وإشراقة الحياة مع انبعاث الثورة والانتصار على الجور والذل والمهانة .

« ونوروز » رمز البهجة الخضراء ، والحياة الزاهية والانتصار الدائم على الموت ..

وقد أعلن « كاوه » ثورته فى أول يوم من أيام الربيع ، ومع تفتح الأزهار ، عندما تتعطر أرض كردستان بأنفاس العبير ، وتلبس الطبيعة ثوبها المزركش تاركة وراءها برد الشتاء وسيوله الجارفة لتستقبل الربيع الطلق الضاحك المشمس والدفء والحياة والأمل ..

ويبدو انه منذ أيام « كاوه » وأسطورته .. لم يعد هناك امل لدى الشعب الكردى فى تحقيق طموحاته رغم أنه لايزال يبحث فى تراثه الأدبى عن شعاع ضوء ، ولو فى المستقبل البعيد ..

وتقول حكمة كردية قديمة « الشجيرة تغدو شجرة وسيجلس تحت ظلالها الفقراء » ..

ان اقدم القرى الزراعية التى نشأت فى التاريخ كانت فى شمال العراق قبل « الأريجية » و « تل حسونة » ببضعة آلاف من السنين ، عندما فرضت إرادة الانسان ان يحصل على قوته بقوة عمله ..

غير أن الكردى يمارس رعى الماشية ، وخاصة الأغنام والماعز فى الأساس ، أما نشاطه الزراعى الآن فإنه محدود لأنه لا يشعر بالاستقرار ..

وتقول الأدبيات الكردية انه كان لكل أمير من أمراء كردستان قديما .. وزيران : وزير اليسار ، وهو المستشار الذى يقدم الآراء

والاقتراحات للحاكم ، ووزير اليمين .. وهو المسئول عن تنفيذ أوامر الحاكم وإدارة الدوائر والمؤسسات .

وتكشف القصص والأساطير الكردية عن نوع القيم التى يؤمن بها الأكراد وحياتهم وأحلامهم .

ففى أسطورة « بائع العقل » ، يلتقى الحاكم الكردى برجل يبيع بضاعة من نوع فريد .. انه يبيع العقل ! ولكل ثمن مقدار من العقل . وفى البداية يظن الحاكم أن الرجل ليس سوى محتال يردد كلاما تافها . وينصح بائع العقل .. الحاكم قائلا : « لا تجرب شيئا لم يجربه غيرك » .. ولقاء مبلغ آخر من المال يقدم له البائع قدرا آخر من « العقل » .. فيقول للحاكم : « تعلم صنعة إن كنت لا تعرف الصنعة ! لأنك لو ملكت الدنيا كلها ، فلا تستغنى عن الصنعة ، وسيأتى يوم لا يفيدك فيه شىء سوى الصنعة » ..

وتمضى الأيام والشهور .. ويواجه الملك مؤامرة من وزير اليمين لقتله ولا ينقذه منها سوى انه تذكر نصيحة « لا تجرب شيئا لم يجربه غيرك » . وتمضى الأعوام .. ويقع الحاكم ووزير اليسار ،. معا .. فى كمين أعده رجل يهودى يريد أن يحقق رغبات « شعب الله المختار » فى الانتقام من الذين يحكمونه .. لأن اليهود « هم الذين يجب أن يحكموا العالم » ! وبعد أربعين يوما من الحياة فى قاع بئر مظلمة عمقها أربعون ذراعا .. يتمكن الحاكم ووزيره من تحقيق النجاة بفضل استخدام ما تعلماه من صنعة قبل هذه « المكيدة » ..

وتروى أسطورة « الحب أقوى » قصة غرام عثمان راعى أغنام إحدى عشائر « الهركى » الكردية التى امتهنت منذ القديم تربية الأغنام والقيام برحلتين مع أغنامها سنويا .. رحلة الشتاء حيث تنزل من أعالى الجبال الى سهول كردستان الواقعة ضمن محافظة الموصل .. ورحلة الصيف حيث ترحل من السهول الى أعالى الجبال فى شمالى كردستان . أما المحبوبة فهى « حليمة » ابنة أحد الأغنياء من أفراد العشيرة والتى أحبت عثمان ولكن والدها يرفض زواجهما بسبب فقر عثمان . وفى أحد الأيام تسقط « حليمة » من ارتفاع شاهق فى مسقط شلال نهر الزاب الجارف فى واد سحيق . وينتزع عثمان وعدا من والد حليمة بأن تكون له إذا استطاع إنقاذها .. وفى ختام

وقائع الإسطورة نسمع رئيس العشيرة يقول مخاطبا الحاضرين فى حفل زفاف عثمان وحليمة . « هل اعتقد أحد يوما بأن انسانا أو أية قوة أخرى أقوى من شلال هذا النهر الهادر ودواماته العميقة » ؟ ويرد الجميع بقولهم « كلا » .. ويقول رئيس العشيرة : « ولكن ثبت أن عثمان كان أقوى » .. غير أن عثمان يتدخل مخاطبا رئيس العشيرة قائلا : « ياحضرة الأغا ! لم أكن أنا .. بل كان الحب هو الأقوى » !

وتروى أسطورة « الوفاء » حكاية « حامد » الذى كان يقوم برحلة ، كل شهر ، من « العمادية » إلى « الموصل » أو الى قضاء « زاخو » وهو يقتاد بغلتيه المحملتين بالأوانى الفخارية ، من جرار وأباريق جميلة دقيقة الصنع .. ينتجها اهالى قرية « ديركنى » المسيحية التابعة لقضاء العمادية الذين تفننوا وبرعوا فى صناعتها وحرصوا على الاحتفاظ بسرها ، دون سواهم . ويريد « حامد » أن يبيع حمولته أو مقايضتها بالقمح أو السمن أو الصوف .

وفى هذه الرحلة ، يصل الى قصر كبير قرب قرية بمنطقة « كلى » فى قضاء زاخو ، ويشعر انه شاهد هذا المكان من قبل ولكنه لا يتذكر شيئا ..

ويستقبله « الأغا » وأبناؤه ورجاله وكلهم يرتدون أحزمة تتدلى منها المسدسات ويحملون البنادق ، ويعرضون عليه المبيت كضيف .. وشراء بضاعته . وتقع المفاجاة الكبرى أثناء تناول طعام العشاء عندما تتعرف « خاتون » زوجة « الأغا » على « حامد » ، ويتضح انها شاهدته أثناء ثورة أهالى العمادية ضد الانجليز فى عام ١٩٢٠ ، وفى البداية يشعر حامد بخوف هائل عندما تستعيد أمامه ذكرى استيلائه على تسع من احسن النعاج من بين أغنام القصر وذبحها والتهامها مع أفراد جماعته بعد احتلالهم للقرية ..

وينتظر « حامد » حكم الموت وهو يرى الرجال أمامه يتحفزون لقتله والشرر يتطاير من عيونهم غير ان « خاتون » تبصق فى وجه زوجها وتصفه بأنه « خائن ونذل وجبان وأحقر إنسان ولا يملك ذرة من الشرف .. لأنه هرب مع الانجليز خوفا من الثوار الذين انتصروا بإيمانهم وتمسكهم بالحق والشرف والحرية ، رغم قلة عددهم ،

وكان من بينهم حامد الذى وقف على عتبة باب دارها ليجعل من صدره درعا حصينا ضد هجوم أفراد جماعته نفسها الذين كانوا يريدون اقتحام الدار ونهبها والتنكيل بأهلها انتقاما من خيانة صاحب الدار (زوجها) ومحاربته للثورة ووقوفه مع الانجليز . وقد اضطر « حامد » الى تقديم « ترضية » الى رجاله حتى يتغاضوا عن الانتقام فذبح لهم النعاج التسع ..

ومنذ تلك اللحظة .. والأمنية الغالية لدى « خاتون » هى أن ترى هذا الرجل « حامد » مرة اخرى وتصر الزوجة (وسائر أفراد العائلة) على بقاء حامد اياما ثلاثة اخرى لكى تغدق عليه من كرمها تقديرا لشهامته وفضله وعزة نفسه وحمايته لحرمة الدار ولشرفها خلال احداث الثورة ، ثم تغرقه (ومعها أفراد الأسرة يحذون حذوها) .. بهداياها قبل رحيله ..

وهذه الأسطورة الكردية تتضمن أعظم إشادة بشخصية المرأة الكردية ، وتقدمها فى صورة مشرقة وبطولية ، وتغرينا شخصية « خاتون » بأن نتصورها حية أمامنا ، فإذا هى - وفقا لما تقوله القصة الأسطورة .

« فى الأربعين من عمرها ، ولكنها كانت تبدو لكل من لا يعرفها فى الخامسة والعشرين ، طويلة القامة ، نضرة البشرة ، ذات وجه مدور كالبدر ، أبيض مشرب بلون الورد كأنه الثلج المسكوب عليه الدم النافذ من مسامه ، لها عينان واسعتان سوداوان وحاجبان كهلالين فاحمين ، وأهداب طويلة كالسهام نفاذة ، وأنف جميل ، وثغر باسم ، وشفتان ممتلئتان حمراوان .. يضمان تحتهما صفين من الأسنان كاللؤلؤ الناصع المنضود ، وصدر ناهد ممتلىء نافر النهدين ، وخصر كالعود ، وجسم يفيض أنوثة وجاذبية وقوة »

انه وصف للمرأة الكردية الجميلة النموذجية ..

وأسطورة « البطل » هى خير مثال فى القصص والأساطير الكردية على تمجيد المرأة الكردية . ففى هذه الأسطورة نجد الزوجة العاقر المثالية فى تدبير المنزل والنشاط والاخلاص لزوجها والسهر على راحته وسعادته .. تجعل من زوجها المذعور والمعتوه .. بطلا .. وتضع له الخطط الناجحة التى تجعله فى نظر كل أهل القرية والعشيرة قاهر

الذئاب والأسود .. والجيوش الجرارة . وكل ما يفعله الزوج هو تنفيذ الخطط التي تضعها له لمواجهة المآزق الخطيرة .. بدلا من الهروب !

وتحاول أسطورة « صراع بين العقل والمال » أن تجيب على سؤال : « أيهما أنفع للانسان : العقل أم المال ؟ وتبين وقائع الأسطورة ان من هبط عليه المال وغاب عنه العقل .. أضاع المال من يده باختياره ، وأن من حرم من المال أو لم يكن له فيه حق .. تمكن من الحصول عليه وزيادته لما أوتى من عقل ، فالعقل أنفع للانسان من المال بل ان المال عديم النفع لأى انسان إذا لم يجتمع معه العقل لديه .. وان القيمة الحقيقية للانسان بعقله لا بماله ..

الأكراد بلا أصدقاء !

تقول حكمة كردية قديمة « ليس للاكراد اصدقاء » !

من هنا يكتب الشعراء الأكراد عن « الواقع المؤلم البائس » و « الضياع والخواء .. في قصائدهم الحزينة » .

يقول الشاعر الكردى « عبدالله به شيو » :

« اخي شيركو .. هل تصدق ؟ منذ الفين وخمسمائة سنة .. ونحن ننام ونأكل على الكذب .. منذ الفين وخمسمائة سنة .. وآذاننا صماء .. والسنتنا بلهاء خرساء .. »

والشاعر الكردى « فاني » يشكو :

رائجة .. هى أسواق الكذب .. والصدق في كساد ..

والشاعر الكردى عبدالله كوران يزفر ويطلق صيحة أنين وغضب وإصرار :

« بلبل .. انا .. اريد ان اغني للشعب مادمت حيا ..

« اغني وانا اقتات على كسرة خبز يابسة .. اغني وانا رث الثياب ..

ويعود الشاعر « عبدالله به شيو » في « الرسالة الليلية لشاعر ظمآن » ليرثى الصغار التعساء :

« قرب الشلال المتدفق ذهبا (يقصد بئر البترول)

« ابصرت قبرا صغيرا كتب عليه :

« ها .. هنا مات جوعا »..

« طفل كردى أسود العينين ..



● قتل الطاغية أبناءه الستة .. وجاء دور الابن السابع .. فانفجرت ثورة « كاوه » الحداد .. وبدأ يحول بمطرقته كتل الحديد الى فؤوس وسيوف ومناجل ويدعو مواطنيه الى الثورة على الظلم .. وصرخ في الوديان والجبال .. فذاب الجليد .. وعادت الحياة والخضرة إلى الأشجار .. ونجحت الثورة .. وسقط الظلم ..

● الفصـل الأول ●

ما أجمل ربيع كردستان !

كردستان ـ أرض الأكراد ـ عبارة عن هضبة شاسعة ومنطقة جبلية تشمل أجزاء واسعة من شرقى تركيا وشمال العراق وشمال غربى ايران وجزءا صغيرا من شمال سوريا وأجزاء من أرمينيا السوفيتية .

تلك هى المنطقة التى يعيش فيها الأكراد والتى ظلت موطنا لهم منذ أزمنة مبكرة جدا .

أنهم شعب جبال زاجروس والامتداد الشرقى لجبال طرطوس التركية .

وقد اعتاد تلاميذ المدارس فى الغرب أن يقرأوا قصة العشرة آلاف أغريقى الذين وجدوا أنفسهم فى قلب الامبراطورية الفارسية عام ٤٠٠ قبل الميلاد . وكيف اقتادهم القائد الاغريقى اكسينوفون فى أمان إلى بلادهم عبر الأنهار والجبال وخلال شتاء مروع مخترقا أعداء أكثر ترويعا من « البرابرة » . ويبدو أن هؤلاء « البرابرة » كانوا هم الأكراد .. أى أنهم كانوا عبارة عن قبائل هندية ـ أوربية « وليست سامية » عاشت فى تلك المنطقة قبل وصول معظم القبائل التى استوطنت أوربا إلى القارة القديمة .

في مواجهة السلاطين

وفي أواخر القرن السادس عشر .. ظهرت وثيقة كردية هامة تحمل اسم « الشرف نامة » « التاريخ المشرف » تتحدث عن تعلق الأكراد بالحرية وجاء في تلك الوثيقة

« ان السلاطين العظام والأمراء الكبار - أثناء حكم السلطان سليم - العثمانى لم يتمكنوا من السيطرة على وطن وأرض الأكراد . وكان الأكراد يقدمون الهدايا ويقومون بالأعمال التى يطلبها منهم السلاطين ويقدمون لهم الجيوش عندما يكونون بحاجة إليها » ولكن دون التنازل عن الأرض .

وفي الواضح أن الشعور بالحرية والاستقلال من مقومات الوجود الكردى .

ويصف الكاتب الأرمنى « أبو فيان » الشخصية الكردية على النحو التالى :

« تستطيع أن تعرف الكردى من النظرة الأولى برجولته وقيافته المهيبة المعبرة التى تشير في نفس الوقت إلى السخرية من الخوف . ويتميز وجه الكردى بعيون كبيرة براقة نارية وحواجب كثيفة وجبين عال وأنف طويل .. معقوف وخطوات ثابتة .. أنها صفات الأبطال القدماء » .

ويحتوى الأدب الشعبى الكردى على حكايات غزيرة عن التقاليد القومية والأغانى والملاحم .. وخاصة ملحمة الدفاع عن قلعة دمدم » وهى تقع في جنوب أرمية بالقرب من نهر نراندوز » التى غزاها الشاه عباس الفارسى . ويترنم بها الأكراد باعجاب لأنها تحتوى على أحداث واقعية . وهناك أيضا الملحمة القومية « مم وزين » وهى عبارة عن قصائد ونثر مسجوع ويغنيها الأكراد في جميع أنحاء كردستان . وكان « مم » و « زين » عاشقين ولكن « مم » لم يكن في نفس مستوى حبيبته من حيث النسب والوضع الاجتماعى . وعلم أمير بونان - وهو شقيق « زين » بحكاية هذا الحب ، فغضب على « مم

وزج به فى السجن ولكنه يضطر بعد ذلك إلى اطلاق سراحه والموافقة على زواجهما خوفا من التمرد الشعبى .. غير أن ذلك حدث بعد فوات الأوان . فقد مات « مم » العاشق وماتت المعشوقة « زين » أيضا ودفنوها بجانبه .. ونبتت زهور كثيرة بين القبرين كرمز لذلك الحب الذى كان أقوى من الموت ..

فالكردى يحب النبل والشهامة .. بسيط وصادق فى معاملاته وعلاقاته .. شجاع وسريع الغضب . مخلص يعرف الوفاء والاعتراف بالجميل .. قاس وساذج وكريم مضياف ويثور ضد كل قسر أو اكراه .. يعتز بكرامته وقوميته ويلتزم تماما بعهوده ، يفخر بأصله ونسبه ، ويعطف على الأقرباء ويضحى بنفسه ليفتدى بنى قومه ..

ولذلك يصف المؤرخون .. الأكراد بأنهم « فرسان الشرق

والكردى يحب القتال والملابس الزاهية .. يحب الموسيقى والشعر والطبيعة والرقص ..

وهناك نماذج عديدة للأكراد منها الأكراد رعاة المواشى ، والأكراد المحاربون والأكراد انصاف الرحَّل ..

المرأة الكردية

غير أن الكردى بوجه عام لا يعرف الحسد ويتصرف بروح التسامح الدينى . كما أن الكردى مشهور باحترامه الشديد للنساء ومعاملته الممتازة للمرأة ، فهو يميل إلى الاكتفاء بزوجة واحدة ولا يتزوج ثانية إلا نادرا ولا يقيم حريما ولا يضيق على زوجته ولا يحتقرها ويراها تتصف بنفس الصفات والمؤهلات التى يتصف - هو - بها .

ولذلك تتمتع المرأة الكردية بقدر كبير من الحرية وبسلطة واسعة . فالمرأة الكردية تستقبل الزوار فى غياب زوجها وتتولى الاشراف على استضافتهم وتتحدث اليهم ولا تستر وجهها ، وتتولى إدارة المنزل وشئون الخدم ، وعند تناول الطعام ، فإن سيدة المنزل

هى التى تعطى اشارة البدء ' وتلعب المرأة الكردية دورا أساسيا فى تربية الأطفال وتنشئتهم .

والزواج عند القبائل الكردية لا يتم بواسطة الأهل وانما نتيجة حب متبادل وبعد أن يتعارف الفتى والفتاة بصورة جيدة خلال فترة الخطوبة . كما أن الكردى لا يهمل الحب ، ويردد أغنيات العشق والغرام ويمارس الغزل .

والمرأة هى العنصر الأساسى الملهم للشعر الوجدانى الكردى ، بل أن لها صفحات عديدة من هذا الشعر . من تاليفها ..

ويصف الباحث المتخصص فى الشئون الكردية « فريزر » ملامح الأكراد بأنها متميزة وحادة ، حيث أن عظام الأنف بارزة ، والفم والذقن متراجعان قليلا ، والعينان سوداون وغائرتان على نحو طفيف ، ويتصفان بسرعة الحركة .

أصـول الأكـراد

الجدل مستمر منذ وقت طويل حول أصل الأكراد .. ولكن معظم الباحثين يتفقون على أنهم ينتمون إلى المجموعة الآرية « الهندية ـ الأوربية » . أما أصل تسميتهم بكلمة « كرد » فإن هناك من يقول أنها ترجع إلى « كوتو » Gutu أى شعب « كوتو » وهو عبارة عن الأقوام التى عاشت فى مملكة « كوتيام » الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة بين نهر « الزاب » الصغير ونهر « ديالى » ويعتقد آخرون أن التسمية مأخوذة من الكلمة الأشورية « كورتو » GURTUوأن هذه الكلمة تطورت إلى GUTU « كوتو » ويقولون أن هذه الكلمة الأشورية تطلق على الأقوام التى تسكن المنطقة التى يعيش فيها الأكراد الآن ..

وهناك نظرية تربط الأكراد بـ « الكريتين » Kyrtu الذين كانوا موزعين بين إيران و « ميديا » غرب إيران وبقية المناطق التى يقطنها الأكراد فى الوقت الحاضر . والمعتقد أن كلمة « كيرتى » تطورت إلى كلمة « كورتو » أو « كاردو » أولا ، ثم إلى كلمة « كرتى » وهى كلمة

أصلية وليست صفة لهذا الشعب ، كما هو حال كلمة « كرد » Gurd الفارسية التى لها أصل مشترك مع الكلمة البابلية Gardu وتعنى الشجاع أو الباسل أو المحارب . وإذا كان بعض الباحثين يرون أن كلمة « كرد » ترجع إلى أصل فارسى وأن الفرس لابد أن يكونوا قد سمعوا بالكرتيين أو تعاملوا معهم بالفعل ، فان ذلك يفسر لنا كيف أطلقوا على الكرد اسما قريبا من اسمهم الأصلى من الناحية اللفظية ومنطبقا على طباعهم فى ذلك الوقت .. وكان أهمها الشجاعة .

ويرجح الباحث الكردى الدكتور « شاكر خصباك » أن كلمة « كرد » تطورت من اللفظ الأشورى لكلمة « كرتو » أى من كلمة « كوتو » حيث أن الأشوريين من بين أقدم الشعوب التى قاست من هجمات « الكورتيين » وكذلك شأن السومريين من قبلهم . وربما نقل الأشوريون هذا الاسم إلى الفرس . وثمة احتمال بأن يكون « الكورتيون » و « الكرتيين » من شعب واحد رغم انتمائهم إلى قبائل مختلفة .. ذلك أن مناطقهم التى وصفها السومريون والأشوريون والفرس هى المناطق الحالية لكردستان ، بما فيها كردستان الشمالى وكردستان الجنوبى ..

وظهرت كلمة « كرد » فى الكتابات الفارسية للمرة الأولى فى كتاب مدون باللغة البهلوية .

فقد ذكر « ارتاخشيربابكان » ، مؤسس الدولة الساسانية عام ٢٢٦ ميلادية ، اسمى « ماكى » ملك « الكردان » من بين أعدائه . ومن المحتمل أن يكون الكتاب العرب كالمسعودى والطبرى قد نقلوا الكلمة عن الفارسية الى العربية .

ولا يتكلم الأكراد اللغة الايرانية ، كما يظن البعض ، وانما يتكلمون لغة مستقلة ترجع ، هى واللغة الايرانية ، إلى أصل واحد وهو مجموعة اللغات الهندية ـ الأوربية ، فهم فى رأى البعض ليسوا بشعب أرى أو جورجى (نسبة إلى جورجيا فى الاتحاد السوفيتى الآن) وانما شعب ينتمى لمجموعة البحر المتوسط التى هاجرت من منطقتها ولجأت إلى الجبال لظروف خاصة .

نسل الشياطين !

ويشير أول المراجع الكردية ـ الذى سبق أن أشرنا إليه ـ « الشرف نامة » ـ بصدد أصل السلالة الكردية ـ إلى أن بعض الناس يعتقدون أن الكرد هم من سلالة الفتيان الذين أنقذوا من الهلاك على يد الطاغية « الضحاك » وهذا يقتضى العودة إلى الأسطورة التى أشرنا إليها . والتى تروى قصة « الضحاك » الذى كان يتربع على عرش إيران ويأمر باستحضار مخ شابين كل يوم ليعالج بهما مرضه المزمن .. وهنا نجد أن الشخص المسئول عن تنفيذ الأوامر (وهذا هو الشق الثانى من الأسطورة) كان يقتل شابا واحدا ويتولى تهريب الشاب الثانى .. إلى الجبال .

واجتمع عدد كبير من أولئك الشبان (الذين تم تهريبهم) فى الجبال وكونوا شعبا متنوع الأجناس أطلق عليهم اسم « كرد » !

وهناك أسطورة ايرانية تزعم أن الأكراد هم أحفاد طائفة من الجوارى اشتراهم سليمان الحكيم من أوربا فاعترضت الشياطين طريقهن فى الجبال وتزوجوا منهن فكان نسلهن .. هم الأكراد !



الأكراد .. عرب ؟

ويرى بعض المؤرخين العرب ، مثل المسعودى ، أن الأكراد من أصل عربى ، بل هم عرب انفصلوا فى الأصل مع الغساسنة عن العرب فى حادثة انهيار سد مأرب لخلاف حدث فيما بينهم واعتصموا بالجبال والوهاد ، حيث اختلطوا ببعض الأعاجم فنسوا لغتهم . ويقول هؤلاء المؤرخون أن أصل الأكراد يرجع إلى « ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل » أو «مضر بن نزار بن معاد » ، وهى قبيلة كانت تقطن ديار ربيعة (منطقة الموصل) أو فى ديار مضر (منطقة الرقة) ، وأفرادها من أبناء « كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن » .

وفى تفسير العلامة الألوسى « روح المعانى » لقوله تعالى :

ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون » ان المراد بأولى البأس الشديد .. « الكرد » .

ويقول الشاعر العربى

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس .. ولكنهم ابناء كرد بن عامر .

ويقرر بعض الرحالة والكتاب فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ان الأكراد من نسل الكلدانيين . خاصة ان مؤرخى الازمنة القديمة يؤكدون ان الكلدان سكنوا فى منطقة كردستان الشرقية . غير أن هناك اتفاقا بين العدد الأكبر من الباحثين على ان الأكراد هم السكان الأصليون لجبال آسيا الصغرى .. وان عاداتهم تؤكد ذلك (مثل عادة الزواج من بنات العم والغناء المنطلق من الحنجرة) . والأرجح أنهم ينتمون إلى المجموعة الآرية وأنهم نتجوا من التزاوج بين سكان جبال زاجروس الأصليين والموجات الأولى من الآريين التى اكتسحت منطقتهم

ويقول الباحث الروسى البروفيسور فلاديمير مينورسكى فى كتابه « الأكراد ملاحظات وانطباعات » الذى نشره عام ١٩١٥ : انه من المحتمل جدا أن يكون الشعب الكردى قد هاجر فى الأصل من الشرق ـ شرق ايران ـ الى الغرب ـ كردستان الحالية ـ واستوطن به منذ فجر التاريخ . وهذا لا يمنع انه كان قبل قدوم هذا الشعب المهاجر هناك فى كردستان الوسطى .. قوم أو أقوام مختلفة تعيش تحت أى اسم مشابه لاسم الشعب الوافد مثل قوم « كاردو » مثلا فاختلط الشعب الوافد بهؤلاء القوم او تلك الأقوام المحلية واندمج فيها كليا وصاروا أمة واحدة على مر الأيام و[illegible] . وإذا كان الباحث « سدنى سميث » يعتقد أن الأكراد وصلوا إلى موطنهم الحالى بعد سنة ٦٥٠ قبل الميلاد . استنادا إلى أن النقوش الأشورية التى يرجع تاريخها إلى ما قبل ذلك لا تذكر شيئا عن الأكراد . فإن المؤكد ـ فى رأى غالبية الباحثين ـ أن أصول الشعب الكردى الحالى ترجع إلى آلاف السنين ، وربما تكون بداية الهجرات التى شكلت الجماعات البشرية فى كردستان قد حدثت قبل الميلاد بعشرين قرنا .

وإذا كانت الأصول العرقية للأكراد غير معروفة بالدقة .. وإذا كان هؤلاء الأكراد قد عاشوا فى الجبال منذ ازمنة قديمة .. إلا أن المؤكد انهم قاوموا على الدوام الخضوع للقوى الأجنبية ، كما أن شراستهم فى القتال معروفة للجميع ..

والقومية الكردية لم تظهر الآن .. بل مع ظهور قوميات أخرى فى العالم فى بداية القرن التاسع عشر .. وتفجرت المشاعر القومية الكردية باوضح صورة من خلال الانتفاضات الوطنية الكردية المتكررة ضد الحكومات العثمانية والفارسية .

والشعور السائد لدى الأكراد على مر السنين الماضية هو أن العالم قد نسيهم وأدار ظهره لهم وأن القضية الكردية على رأس قائمة القضايا الخاسرة فى العالم .

التيه الكردى

ليس للأكراد دولة خاصة بهم وليسوا شركاء على قدم المساواة فى اتحاد فيدرالى مع قوميات أخرى كما هو الحال فى يوغوسلافيا ..

الأكراد اليوم .. مبعثرون .. وأقليات مقهورة داخل ثلاثة دول هى تركيا والعراق وايران .. وفى « جيوب » أصغر فى سوريا والاتحاد السوفيتى .

وسجلات الامبراطوريات القديمة عن بلاد ما بين النهرين تحتوى على اشارات متكررة الى القبائل الجبلية التى يطلق عليها اسماء تشبه كلمة « كردى » فقيل مثلا أن « الكاردو تشوى » هم الذين هاجموا اكسينوفون والعشرة آلاف اغريقى فى ٤٠١ قبل الميلاد على مقربة من بلدة « زاخو » فى جنوب الحدود التركية وأنهم قد يكونون من الأكراد .. وهى الواقعة التى أشرنا اليها من قبل .

وفى أواخر السبعينات .. كان مجموع الأكراد يقدر عددهم بعشرة ملايين و٣٠٠ ألف بما فى ذلك أكراد سوريا وأرمينيا السوفيتية .. غير أن المراجع الأحدث تتحدث عن خمسة وعشرين مليون كردى

منهم ١٢ مليونا يعيشون فى تركيا وحوالى اربعة ملايين فى العراق ، وحوالى ستة ملايين فى إيران .

والأكراد مسلمون سنيون ـ فى غالبيتهم الساحقة ـ منذ القرن السابع . وكان الروح القبلى يتغلغل فى الوسط الكردى .. فهم لا يعيشون قط حياة قبلية بكل عاداتهم وتقاليدهم ، وأنما هم ايضا يفكرون قبليا . وقد أسهم الاسلام فى تطوير المجتمع الكردى وتاريخ الأكراد . وقام الأكراد بدور كبير فى العهود الاسلامية ، وبخاصة بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر للميلاد ، وقدموا للاسلام خدمات كبرى ، وظهر بينهم من تفقه بالدين الاسلامى واحتل مكانه بين الفقهاء والمفسرين ورواة الحديث واصحاب الطرق الصوفية . ويمثل الدين أقوى وازع لهم وموجه فى حياتهم ، فانت إذا سالت أحدهم « أتوجيا ؟ » (ومعناها .. من أنت ؟) أجابك « أمن مسلمانا والحمد لله » (ومعناها : أنا مسلم والحمد لله) ..

اليزيديون

اليزيدون طائفة تقيم فى شمال غرب العراق ، وبالتحديد فى قضاء شيخان (منطقة الموصل) على جبل السنجار الذى يقع على مسافة ١٦٠ كيلو مترا غربى الموصل ، ومنهم عدد يقيم بمنطقة ديار بكر وحلب وأرمينيا السوفيتية قرب مدينة تفليس ، وكان العدد الاجمالى لليزيديين ، وفقا للاحصاءات القديمة ، لا يتجاوز ٧٠٠ ألف غير انه لا تتوفر أحصاءات حديثة لعددهم .

وقبل أن يعتنق الأكراد الاسلام ، كان معظمهم من اليزيديين . وهؤلاء اليزيديون لهم شعائر « دينية » غريبة ، فهم يطلبون رضاء الشيطان فى أعمالهم .. تخلصا من اذاه .. ولا يتلفظون باسمه ، ويمتنعون عن التلفظ بأية كلمة تبدأ بالحرف (ش) لأن اسمه يبدأ بها ، ولا يستخدمون اللون الأزرق لأنه يذكر الشيطان بالسماء .

ويمتنعون عن التنحنح والبصق ، وهم يحرمون تناول الخس والقرع والسمك والديوك والغزلان ، كما يحرمون على أولادهم تعلم القراءة والكتابة ما عدا أولاد الرؤساء الروحيين ، ولا يدخلون

الحمامات ولا دورات المياه اعتقادا منهم انها من ملاجيء الشيطان ، ولا يستخدمون الخيل ذكورا وإناثا فى حمل الأثقال ، أما ركوبها فانه جائز !

واليزيديون يسجدون للشمس كل صباح ، ويضحون لها بثور ابيض ، هو « القربان » اليومى ، ويقبلون أعلى حجر تسقط عليه أشعة الشمس عند بزوغها ! أما صيامهم ، فهو انقطاع عن الأكل والشرب ثلاثة أيام فقط لأنهم يزعمون أن حكم الصيام الذى جاء فى القرآن نزل باللغة الكردية وتمت ترجمته بطريق الخطأ .. الى ثلاثين يومًا !

ويعتقد اليزيديون بوجود آلهين : إله الخير ، وإله الشر . ويرمزون إلى الأول بالله تعالى ، وإلى الثانى بالشيطان الرجيم ، ويسمونه « طاووس ملك » . ولما كان الشيطان هو مصدر الشر ، فان الحكمة - من وجهة نظرهم - تقتضى اهمال عبادة الله الصالح بطبيعته والسعى الى طلب حماية الشيطان واعلان الولاء له !!

ولليزيديين كتابان « مقدسان » يسمى أحدهما « الجلوة » والآخر « مصحف رش » . (المصحف الأسود) ، وصلواتهم عبارة عن أذكار وأوراد خاصة يتلونها فى أوقات خاصة .

وهناك من يلقب اليزيديين بـ « عبدة الشيطان » و « مطفىء القناديل » . ومن عاداتهم تعميد الذكور وختانهم والزواج من أكثر من امرأة .

ومؤسس اليزيدية رجل يدعى الشيخ « عدى بن مسافر الأموى » ، ولد فى سوريا بين سنة ١٠٧٣ وسنة ١٠٧٨ ، و « يحج » اليزيديون إلى مقامه فى مواسم خاصة من السنة .

والمعتقد أن كلمة يزيدية مشتقة من الكلمة الفارسية أو الكردية « يزدان » ، أى الله ، وهناك من يرى أن اليزيديين من أتباع « يزيد بن معاوية الأموى » الذى ينحدر منه الشيخ عدى بن مسافر الدمشقى الأموى ، وكان داعية لصحة خلافة يزيد و .. لألوهيته !!

ومن أهم ما جاء فى كتاب « عدى » أن الله هو الذى خلق

الشيطان ، والذى يخلق الشيطان كائن غير مقتدر ، إذن لا يمكن أن يكون الله هو الذى خلقه ' واستغرق اليزيديون فى الضلال إلى اخر مدى وأدانهم علماء المسلمين بالكفر .

واليزيديون من الشعب الكردى ، وهم يتكلمون الكردية إذا كانوا فى منطقة كردية ، والعربية إذا كانوا فى وسط عربى . وقد تفشت الأمية فى صفوفهم ، مما دفع بعض زعمائهم إلى إلحاق عدد من ابنائهم بالمدارس الحكومية فى فترة متاخرة

وهناك عدد من الأكراد ينتمون إلى طائفة « اهل الحق » التى تؤله الامام على بن ابى طالب وتؤمن بالتقمص . ويطلق على هذه الجماعة اسم « العلى اللاهية » أو « جماعة على إلهى » ، ويقطن أفرادها فى بعض قرى محافظتى الموصل وكركوك وفى مندلى بمحافظة ديالى .
وينتمى الأكراد التابعون لـ « أهل الحق » إلى قبائل فيشى التى تنحدر من احدى الجماعات الكردية الأربع وهى جماعة « الكلهور » (الجماعات الثلاث الأخرى هى الكرمانج والكوران واللور) وتعيش هذه الجماعة منذ أجيال على الضفة الجنوبية من كردستان الايرانية على حدود كرمنشاه والسنجابى .

و « أهل الحق » ينتشون بذكر الله على طريقة الدراويش ويحفظون أيام الأعياد والصوم .



موقع استراتيجى

تتراوح مساحة كردستان بين ٤٠٩,٦٥٠ كيلو متر مربع و ٤٥٠ ألف كيلو متر مربع وفق تقديرات مختلفة ، وهى منطقة تمتد من جنوب شرقى تركيا الآسيوية حتى شمال العراق وايران ، ويبدأ خط حدودها من الشمال الشرقى من جبل أرارات (تركيا) ويشمل مناطق غربى إيران ، ففى جنوبى أرارات تمتد سلسلة ضخمة من الجبال تتجه جنوبا على مسفة ألفى كيلو متر ثم تتشعب وتنحرف نحو الجنوب الشرقى حتى الخليج العربى ، ويمر خط الحدود جنوبا فى العراق حتى « مندلى » وبموازاة جبل حمرين حتى التقاطع مع نهر دجلة ، حيث يمكن رسم خط مستقيم باتجاه لواء الاسكندرونه (بين سوريا وتركيا) وتقع جبال الأكراد بين ارارات وجبل جلاميرج ، وتحدها شمالا قمم جبلى أرمينيا وجنوبى هضبة أذربيجان ثم هضاب ايران ، وتقع جبال زاجروس فى الجنوب الشرقى من أرمينيا ، وهى تشكل الحدود الطبيعية بين ايران والعراق ولا يفصلها عن أرمينيا سوى جبال كيرامار .

ويقول جلال طالبانى فى كتابه « كردستان والحركة القومية الكردية » إن كردستان تحتل موقع العمود الفقرى للشرق الأوسط .. وإلى جانب الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة وخطورة موقعها .. فانها تحتوى على ثروات بترولية ومعدنية هائلة .. وأغنى الحقول البترولية تقع فى مدينة كركوك الكردية علاوة على حقول أخرى فى عينى زالة وبطمة بالشمال .

ويقول المؤرخ الروسى باسيل نيكتين قنصل روسيا الأسبق فى ايران :

« . لمنطقة كردستان أهمية جغرافية واقتصادية كبرى ، فهى احدى الصلات بين الشرق والغرب ، وفيها تنفجر ينابيع غزيرة من النفط الحيوى للعالم ، فمن مصلحة الدنيا كلها أن يسود السلام فى هذه المنطقة ، ولاشك أن الضمير العالمى يود أن تسود مبادىء العدالة ومبادىء حقوق الانسان » .

مفاتن الطبيعة

ويقول جلال طالبانى ان كردستان تمتاز بجمالها وخصوبة أرضها وكثرة فواكهها الشهية ومعادنها مثل خامات الحديد والنحاس والكبريت والفضة والذهب والزئبق والفحم ، وهى منطقة جبلية فى الأساس حيث ترتفع القمم العالية كالخناجر المصوبة إلى الفضاء ، وتنبت على جبالها الأشجار والزهور المتنوعة وتكثر فيها العيون والشلالات أحيانا . وتغطى الغابات حوالى ستة فى المائة من أرض كردستان تركيا و ٣٢ ٪ من كردستان إيران و ٨ ٪ من كردستان العراق .

لقد وهبت الطبيعة كردستان مناظر خلابة ومصايف ووديانا رائعة . ورغم أن الثلوج تغطى قمم الجبال فى الشتاء . إلا أن المناخ معتدل فى الصيف والخريف والربيع .. وكان فى الامكان أن تصبح كردستان من أجمل البقاع ومنطقة سياحية ممتازة لو تزايد الاهتمام بتعميرها وتجميلها .

ولم تعد كردستان بلاد القبائل الباطشة والعشائر الرحل والبدو والرعاة .. فقد اتسعت المدن الكردية القديمة والحديثة مثل كركوك ، وكرما نشاه ، وديار بكر ، والسليمانية ، وأربيل ، وخانقين ، وأرزنجان ، وار ضروم ، وبتليس ، ومهاباد ، وأن ، وسنة .

ويجرى فى كردستان نهرا الدجلة والفرات ، اللذان ينبعان من كردستان تركيا ، وروافد نهر دجلة مثل الزاب الكبير والزاب الصغير وسيروان (ديالى) ونهر آراس وبتليس وبوتان وجاما سياب وجانماتو .. علاوة على بحيرة كبيرة هى بحيرة « وان » وبحيرات « أورميا » و « خافرار » و « زيفار » وغيرها .

والأدب الكردى الشعبى حافل بالاهازيج التى تتغنى بالطبيعة فى المنطقة . فى قصة الوفاء نقرأ هذه السطور :

« كانت المناظر خلابة والطبيعة ضاحكة ، وأشعة الشمس الذهبية المائلة نحو المغيب تقبل الصخور الزاهية الألوان برفق

ومرح ، والطيور تصدح بأنغام عذبة . والبلابل تغرد من هنا وهناك كأنها ترد على بعضها غناء وألحانا ، والأزهار والورود البرية المختلفة الألوان ، تغطى الأرض ، وتزركش البساط الأخضر السندسى ، وكأنها غدت بساطا من صنع كاشان (فى إيران) ، والأشجار مورقة ، ورقة الظلال ، والينابيع تتدفق من كل مكان وتنبثق مياهها الفضية حتى من الصخور ..

وفى قصة « الحب أقوى » :

« ما أجمل ربيع كردستان ، حيث تتفجر العيون والمياه العذبة من كل جبل وسفح وسهل فى الأرض والجبال والبقاع .. كلها خضراء مزدهرة بالأعشاب والورود والأزهار والغابات كثيفة والأشجار يانعة .. والكلأ وفير .. والأغنام تتهادى وسط الطبيعة السخية التى تمنحها الحياة والنمو السريع » ..



كلمة « كردستان »

كلمة « كردستان » أطلقها آخر ملوك السلجوقيين ، ويدعى سنجار ، على احدى مقاطعات مملكته فى القرن الثانى عشر للميلاد ، ويقال أن أول من ذكر كلمة « كردستان » بين المؤرخين هو « القزوينى » الذى عاش فى القرن الثامن للهجرة أو الرابع عشر الميلادى .

وكانت « كردستان » تؤلف جزءا من مختلف الامبراطوريات التى تعاقبت على الشرق منذ قديم الزمان ، ففى الفترة من عام ٣٣١ إلى عام ١٢٩ قبل الميلاد كانت تؤلف جزءا من امبراطورية السلوقيين ، ومن عام ٢٤٧ قبل الميلاد إلى عام ٢٢١ بعد الميلاد كانت جزءا من الامبراطورية البارثية (البارثيون شعب آسيوى أنشأ بشمال ايران مملكة عرفت باسم بونتوس ازدهرت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعده ، وكانت حضارتها تقوم على الرق وقامت مملكة بونتوس على الساحل الجنوبى للبحر الأسود ، وجعلها متراداتس

السادس دولة عظمى هزمها القائد الرومانى بومبى سنة ٦٣ قبل الميلاد)

وخلال الفترة من عام ٢٢٦ إلى عام ٦٣٦ بعد الميلاد كانت كردستان تؤلف جزءا من امبراطورية الساسانيين الفرس .

امبراطوريات وغزاة وفاتحون على ارض كردستان عبر التاريخ .. فقد خضعت الجهة الجنوبية الشرقية لكردستان الوسطى للسلالة الملكية الارمنية ثم خضعت للاسكندر ذى القرنين ثم للارساسيين الأرمن الخاضعين تارة للفرس وتارة لروما ثم لاردشير وشابور ملكى الفرس ثم للامبراطورية الرومانية . وعادت من جديد إلى الفرس ، ثم خضعت لامبراطور بيزنطة ثم للارساسيين الأرمن الخاضعين للفرس مرة اخرى ثم لبيزنطة مرة ثانية . واخيرا للفاتحين العرب الأولين ، فالأمراء الأرمن الخاضعين للعرب وللسلالة المروانية الكردية المستقلة التى كانت اول سلالة كردية حاكمة من سنة ٩٩٠ إلى ١٠٩٦ ميلادية ، وخلفتها السلالة الشهرمانية ، ثم تناوب عليها الفاتحون الشرقيون من سلجوقيين ومغول .

وقاوم الأكراد هولاكو خان حفيد جنكيز خان (ملك الملوك) فى القرن الثالث عشر بعد أن أرسله شقيقه الخان المغولى سنة ١٢٥٢ لغزو غرب آسيا . وكانت مهمة هولاكو خان الأولى هى القضاء على « اللصوص الأكراد » حسب المصادر التاريخية ، ورغم أن الأكراد قتلوا عشرين ألف مغولى أمام قلعة اربيل إلا انهم هزبوا كما قاوم الأكراد تيمور لنك فى حوالى سنة ١٤٠٠ وقاوموا العرب فى البداية ورفضوا الخضوع (من القرن السابع إلى القرن التاسع) إلى أن اعتنق الأكراد الاسلام وأصبحت كردستان جزءا من ممالك الخلافة الاسلامية (من عام ٦٣٦ حتى عام ١٢٥٨) وبعد غزوة هولاكو .. خضعت للمغول والتركمان من ١٢٥٨ إلى ١٥٠٩ . ومنذ عام ١٥١٤ . وهو بدء تاريخ الغزوات العثمانية ، ارتبطت مصائر كردستان بتركيا مما ادى إلى اشتداد معاناة الأكراد وذبح الآلاف منهم .



● اب كردى يدفن طفله فى حفرة صغيرة تم اعدادها على عجل .. وهى عملية تتكرر باستمرار فى حياة المواطن الكردى المأساوية ..



● لاجئة كردية تقوم بتنظيف طفلها بالمياه بمساعدة أحد افراد أسرتها فى مخيم للاجئين بمنطقة الحدود التركية ـ العراقية عقب الهروب الجماعى خوفا من انتقام سلطات بغداد منهم عقب فشل الانتفاضة الكردية غداة حرب الخليج .. المعروف أن المرأة الكردية لا تتخلى أبدا عن أطفالها حتى أثناء العمل ، فهى تشد هؤلاء الأطفال على ظهرها بحزام عريض .. وخلال شهرى مارس وابريل عام ١٩٩١ كان الأطفال الأكراد يتساقطون صرعى المرض والجوع ..



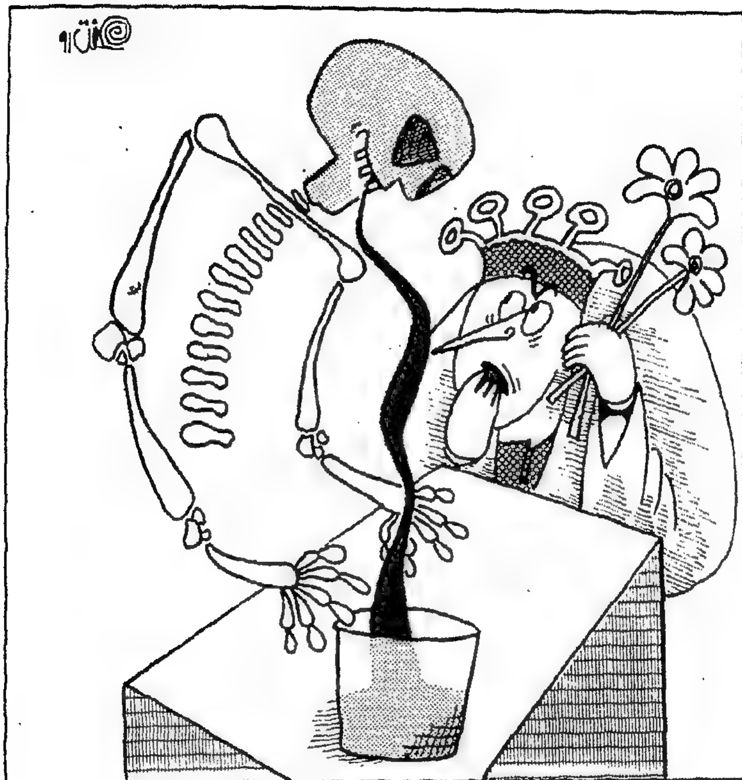
● المرأة الكردية تجذب الرجال بجمالها الطبيعى . متوسطة الطول ، بشرتها فاتحة وشعرها بنى غامق ذو موجات خفيفة .. مغرمة بالملابس ذات الألوان الزاهية وتهوى الحلى الذهبية والفضية ، وهى جريئة وتتمتع بمكانة عالية فى المجتمع الكردى ، وبسيطرة هائلة داخل الأسرة ..



● « الكلاو » غطاء الرأس .. وتزين مقدمته قطع العملة الذهبية او الفضية وانواع الحلى ، وقد تلتف حوله وشاحات حريرية . والصديرية بلا أكمام من قماش ذهبى أو فضى . والحزام جلدى عريض مرصع ايضا بقطع ذهبية او فضية . والسروال قطني واسع أو يحل محله رداء فضفاض . والعقود مصنوعة من العملات او من خرز العنبر الأصفر .. »



● الزى الشعبى الكردى فى كركوك .. والمرأة الكردية تقوم بأعمال منزلية شاقة . تنقل المياه من العين وتتسلق الجبال الشاهقة لحلب المواشى وجلب الحطب .. وتحسن الكثير من الكرديات ركوب الخيل وحمل البندقية .. وهناك كرديات اصبحن رئيسات للقبائل يجمعن فى ايديهن كل السلطات . وتجلس المرأة الكردية وسط الجماعة فى شجاعة بلا خجل وتشارك الرجال فى الحوار وتتجول فى القرية بحرية ..



• الطاغية الضحاك .. يعانى من مرض عضال .. ولا شفاء له .. إلا إذا مسح جسمه كل يوم بدم مستخلص من مخ شابين كرديين .. وتبدأ المذبحة اليومية .. ولكن الدم .. يشعل نار الثورة على الطاغية .. الذى يحترق فى قصره ..

• الفصل الثانى •

مواجهة مع الامبراطوريات

يخوض الشعب الكردى منذ حوالى ٢٥٠ عاما نضالا سياسيا ويؤسس الجمعيات الأدبية والسياسية السرية ويقوم بثورات وانتفاضات مسلحة .. مثل ثورة البابانيين فى عهد السلطان عبدالحميد ، وثورة الامير بدرخان فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، وحركة يزدانشير الشعبية أثناء حرب القرم ، والثورات المتتابعة لأبناء وأحفاد بدرخان . وثورة الشيخ عبيدالله فى شمزينان ، وثورة الملا سليم البدليسى قبل الحرب العالمية الأولى ، وثورة الشيخ محمود فى السليمانية ، والشيخ سعيد بالو فى كردستان تركيا ، والشيخ أحمد البارزانى وشقيقه الملا مصطفى البارزانى .



فى القرن السادس عشر خضعت كردستان للتقسيم ، تقاسمتها السلطنة العثمانية والامبراطورية الصفوية الفارسية ، فحصلت الاولى على ثلاثة ارباعها وحصلت الثانية على الربع ، وصدر الفرمان السلطانى فى أوائل شهر نوفمبر عام ١٥١٥ لاخضاع امارات كردستان رسميا للسلطان العثمانى .

كانت تلك بداية فرض القبضة العثمانية الحديدية على كردستان ، وكذلك فرض السخرة والاضطهاد على المواطنين الأكراد .

وقد أدى وصول الجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا الى أبواب الآستانة ، وكذلك حرب الاستقلال فى اليونان عام ١٨٢٨ الى اثارة حماس الزعماء الأكراد .

ويمكن القول ان القومية الكردية والحركة التحررية القومية للشعب الكردى قد ظهرتا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وفى نفس تلك الفترة بدأ الصدام بين مصالح الرأسمالية الكردية الجديدة .. وبين النظام الاقطاعى المتدهور والمتداعى فى كردستان .. مع ان الحركة التحررية الكردية بدأت بقيادة الأمراء وأصحاب الأملاك ورجال الدين الأكراد .

ولوحظ فى نفس الوقت ان قسما من الاقطاعيين ورجال الدين الأكراد تحولوا الى رأسماليين يكرهون السيطرة الأجنبية التى تعوق نموهم ويحركون المشاعر القومية .

وخلال الحرب الروسية ـ التركية (١٨٢٨ ـ ١٨٢٩) عمت الثورة بلاد الأكراد . وكانت موجهة ضد الاقطاعيين الأتراك والأكراد على السواء .. وتطورت الحركة الكردية من حركة قومية رأسمالية معادية للسيطرة الأجنبية الى ثورة ديمقراطية شعبية .



وتتميز ثورة بدرخان باشا أمير جزيرة ابن عمر بمنطقة بوتان (والتى بدأت فى عام ١٨٤٣) بأنها ثورة وطنية « عصرية » تستهدف تأسيس حكومة كردية وفرض حكم عادل للقانون والقضاء والنظام المالى وجباية الضرائب .

وقاتل بدرخان ضد الجيش العثمانى أربع سنوات . حرر خلالها مناطق شاسعة من كردستان ، ثم لعبت الخيانة الداخلية دورا شائنا فى احباطها .

وأعقبت الثورة البدرخانية حركات وانتفاضات مسلحة اكدت على ضرورة تنظيم قوى الثورة الكردية والاعداد لها بطريقة افضل واقامة روابط قوية مع المسيحيين من أرمن واشوريين وكلدانيين .

ونشبت ثورة وطنية كردية فى شمزينان عام ١٨٨١ بعد أن قام قائدها الشيخ عبيدالله النهرى بعقد مؤتمر للعشائر الكردية فى قرية « نهرى » فى يوليو ١٨٨٠ ، حيث تقرر تأسيس جمعية العشائر الكردية وأحرزت الثورة فى بدايتها انتصارات كبيرة ، ولكن القيصرية الروسية وبريطانيا تدخلتا ونجحتا فى خداع الشيخ النهرى ، كما قامت ايران وتركيا (اللتان تذرفان الدموع الآن على ماسى الأكراد) بتوحيد جهودهما ضد الثورة الكردية .

وعندما وافق الشيخ النهرى على التوجه الى اسطنبول للتفاوض مع الحكومة العثمانية .. ووصل الى هناك القى القبض عليه وزجت به السلطات العثمانية فى السجن بدلا من أن تتفاوض معه .

يقول ديرك كينين فى كتابه « الأكراد وكردستان » ان الانتفاضة الكردية الأخيرة فى القرن التاسع عشر هى التى حدثت بين عامى ١٨٧٨ و١٨٨١ بقيادة الشيخ النهرى الذى هاجم ايران وأحرز بعض الانتصارات .. وتحت الضغط البريطانى ـ الروسى والتعاون التركى ـ الايرانى المشترك .. انتهت محاولات الشيخ لتأسيس دولة كردية ..

ورفعت تلك الانتفاضة لأول مرة فى التاريخ شعار « استقلال كردستان » عن الدولتين العثمانية والفارسية .

ويصف باسل نيكيتين هذه الثورة فى كتابه « الأكراد » قائلا : « كانت الثورة التى وقعت قبيل ثورة الشباب الأتراك تستهدف استقلال كردستان ، وقد اضرمت نيرانها على الحدود الفارسية فى جوار شمزينان حيث هددت تركيا لفترة وجيزة من الزمن ، واضطر الأكراد أخيرا الى التراجع عن القتال ، وعلى أثر احتجاجات العجم

وبفضل التدخل العسكرى التركى ـ الفارسى .. تمكن الفرس والاتراك من ايقاف نشاط الشيخ الثائر . ثم بعد آن اقتادوه الى الأستانة ارسلوه الى مكة وبعد الثورة التركية . عاد ابنه البكر الشيخ عبدالقادر من مكة لكى يصبح فيما بعد عضوا فى مجلس الشيوخ التركى .

وتشير بعض التقارير التفصيلية الى آن عدد المشتركين فى تلك الانتفاضة بلغ ما لا يقل عن مائة الف شخص ومع ذلك تاتى على راس قائمة آكبر الانتفاضات التى شهدتها الامبراطورية العثمانية فى النصف الثانى من القرن الماضى

ولم تصمد الثورة الكردية لأنها لم تكن حركة شعبية لها قواعد منظمة بل كان الطابع العشائرى والفردى هو الغالب فيها .. ولأن التفوق العسكرى التركى ـ الايرانى ومساندة الانجليز وقيصر روسيا لهما جعلا الخوف يدب فى قلوب الكثير من العشائر الكردية المترددة .

وفى الحقبة الاخيرة من القرن التاسع عشر . جرت محاولات كردية عديدة لكسب تأييد الروس . كان آهمها استقبال القيصر نيقولا الثانى لوفد كردى يضم جعفر آغا الشكاك وآخرين من الزعماء الأكراد . ولكن هذه المحاولات الكردية تحطمت على صخرة أطماع ومشاريع روسيا القيصرية .

ويقول الدكتور كمال مظهر آحمد الأمين العام للمجمع العلمى الكردى ان بداية ظهور حركة التحرر الوطنى الكردى ترجع الى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ورافق مولدها . ظهور الأفكار التحررية مع اندماج كردستان فى السوق الرأسمالية فى تلك الفترة .. وهكذا لم ينته القرن التاسع عشر حتى ظهرت على مسرح كردستان السياسى آولى الانتفاضات الشعبية المسلحة ذات الأهداف القومية والتى بدآت تتحول بالتدريج الى العامل الأول وراء تحديد اطار الحياة السياسية الاجتماعية لهذا الجزء الحساس من الامبراطوريتين المتنازعتين . العثمانية والفارسية .

صحيفة فى القاهرة

وقد ارتبطت طبيعة حركة التحرر الوطنى للشعب الكردى منذ مولدها بظروف المجتمع الكردى الذاتية والموضوعية . كما تاثرت ـ كاية حركة اخرى ـ بعوامل خارجيه معينة

ذلك انه نتيجة لنمو الفئة المثقفة الكردية وتبلور افكار عصر التنوير لديها - بسبب احتكاكها المباشر بالأوساط المتاثرة بالفكر الليبرالى الأوربى فى اسطنبول بل حتى فى بعض المدن الأوربية . حدث تطور نوعى هام فى طبيعة النضال التحررى الكردى قبل انتهاء القرن التاسع عشر تمثل فى ظهور بوادر التنظيم فى صفوف الأكراد وفى تبلور اكثر فى اهداف ذلك النضال القومية والاجتماعية . وبدا المتقفون الأكراد يوجهون اهتمامهم منذ تسعينات القرن التاسع عشر الى مسالة الصحافة والتنظيم السياسى حتى انهم اضطروا تحت ضغط السلطات الحاكمة ، الى اصدار اول جريدة كردية فى ٢٢ ابريل ١٨٩٨ خارج حدود الدولة العثمانية فى مدينة القاهرة بالذات . وكانت تسمى بـ « كردستان » وتولى رئاسة تحرير العدد الأول « مدحت بدرخان » ثم نقلت الى جنيف حيث كان يقيم ناشرها ـ عبدالرحمن بك ـ احد ابناء بدرخان .

وكانت الجريدة الوليدة تناضل باسلوب ومستوى لا يختلفان فى شىء عن صحافة الشعوب المضطهدة .

والملاحظ ان الفى نسخة من اعداد هذه الجريدة كانت توزع بشكل سرى ومجانى فى مختلف المناطق الكردية . وفشلت محاولات نظام حكم السلطان « عبدالحميد » الاستبدادى فى اضعاف عزيمة ناشرى الجريدة الذين واصلوا اصدارها فى جنيف وعدد آخر من المدن الأوربية ، وتبع ظهور اول جريدة كردية . تأسيس اولى الجمعيات والمنظمات السياسية والثقافية الكردية السرية والعلنية التى بدأت ايضا تحتل مكانتها البارزة فى حياة الشعب الكردى السياسى ، وخاصة بعد ان انتقل اليها بالتدريج ، زمام الكفاح

التحررى لهذا الشعب الذى تاثر فى تلك الفترة بالذات بأفكار الثورة الدستوريه فى ايران الى جانب نورة الاتحاديين الدستورية فى تركيا وبلغ عدد الاكراد الذين انضموا الى التورة الدستورية ـ وفقا لبعض الوثائق الدبلوماسية ـ اكتر من ثلاثين الف شخص .

وكانت القاهرة مركزا فكريا وثقافيا للحركة الوطنية والاصلاحية والاتجاهات المتحررة التى يروج لها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهما .

وتاثر بعض الوطنيين الأكراد بهذه البؤرة « الوطنية » فى القاهرة ، على حد تعبير الزعيم الكردى جلال طالبانى .

وعندما حدثت الثورة الايرانية عام ١٩٠٥ من أجل الدستور .. ساهم فيها الأكراد وتدخلت الجيوش الروسية لسحق الثورة .



التعالى والترقى

واتجه الأكراد الى التعاون مع الشباب التركى وقادة النضال من اجل الدستور ، كما ساهموا فى الحركة التى ادت الى الانقلاب العثمانى واشتركوا بنشاط فى الحياة الدستورية وشرعوا فى تنظيم قواهم فى جمعيات ومنظمات اجتماعية سياسية وثقافية ، وتشكلت فى عام ١٩٠٨ جمعية « التعالى والترقى » السياسية الكردية . ثم أسس الطلاب الأكراد جمعيتهم « هيفى (الأمل) وصدرت عدة صحف كردية منها « الشمس الكردية » وأسست مجموعة من الطلاب ورجال القانون جمعية « الرجل الكردى » بذلك تكون الحركة الوطنية الكردية قد دخلت فى الحقبة الأولى من القرن العشرين مرحلة نشر الوعى بأسلوب عصرى عن طريق الصحافة والأدبيات ثم التنظيم الحزبى .

وكانت تلك أيضا هى مرحلة النضال المشترك مع الأتراك والايرانيين من اجل الدستور ضد الاستبداد والطغيان ومن اجل اللامركزية للأمم الخاضعة للنير العثمانى .

يقول « جواهر لال نهرو » زعيم الحركة الوطنية الهندية في كتابه « لمحات من تاريخ العالم » ان الاكراد قاموا بحركة قومية بعد الثورة التركية عام ١٩٠٨ كما طالب ممثلو الأكراد في مؤتمر الصلح بفرساي بمنحهم الاستقلال .

وإذا كانت أول جمعية سياسية كردية قد ظهرت في عام ١٩٠٨ في اسطنبول على أثر انتصار ثورة الاتحاديين في تركيا التي اعطت دفعة قوية للنضال التحريري لشعوب الامبراطورية العثمانية . فإن القليلين هم الذين يعرفون ان جمعية نسائية سياسية كردية ظهرت في اسطنبول أيضا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة . وكان لها برنامجها ونظامها الداخلي .



اتفاقية سرية

وفي عشية الحرب العالمية الأولى ، حدثت انتفاضة كردية مسلحة في « بتليس » وبعض الأماكن الأخرى من كردستان . ولكن الحرب التي دخلتها تركيا تحت شعار مضلل هو « الجهاد » وضعت الحركة الكردية في موقف حرج مع اتساع نطاق الدعاية التركية حول « الدفاع عن الاسلام والخلافة الاسلامية » .

وحاول بعض الزعماء الأكراد الاتصال بالروس طالبين مساعدتهم لتحرير كردستان من براثن الترك مقابل مساندتهم للروس في الحرب .. غير ان هؤلاء الزعماء الأكراد كانوا يجهلون وجود اتفاقية سايكس بيكو السرية بين روسيا وبريطانيا وفرنسا تقضي بتقسيم كردستان بين هذه الدول ، بحيث تحصل روسيا القيصرية على منطقة وسط كردستان (شرقي تركيا) وتحصل فرنسا على كردستان الجنوبية (شمال العراق) وتحصل بريطانيا على كردستان (ايران) وقد كشف البلاشفة بعد ثورتهم عن هذه الاتفاقية ومزقوها .

ولكن الحرب العالمية الاولى انتهت بصورة تختلف تماما عن تلك التى كانت فى اذهان الدول الغربية فقد انهارت روسيا القيصرية وقامت على انقاضها دولة الاتحاد السوفيتى عام ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية التى دعت شعوب الشرق الى النضال ضد الاستعمار واعلنت مساندة هذه الشعوب فى نضالها من أجل حق تقرير المصير وتجددت امال الشعب الكردى

وارسل الوطنيون الأكراد وفدا برئاسة الجنرال شريف باشا الى مؤتمر الصلح فى باريس عقب الحرب العالمية الثانية لطرح القضية الكردية . ونجح الوفد فى ادخال المواد ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ضمن معاهدة سيفر التى عقدت فى العاشر من أغسطس عام ١٩٢٠ فى باريس والتى نصت على منح الشعب الكردى (تحت السيطرة التركية) نوعا من الحكم الذاتى الذى يمكن أن يتحول الى الاستقلال التام مع السماح لسكان كردستان الجنوبية (شمال العراق) بالانضمام الى هذه الدويلة الكردية إذا رغبوا فى ذلك

وكانت خطة بريطانيا الحقيقية هى كسب الوقت عن طريق ايجاد حكومة كردية ـ ذات حكم ذاتى ـ فى شرقى تركيا الذى كان من نصيب روسيا القيصرية (وفق معاهدة سايكس بيكو السرية) حتى تقيم لنفسها قواعد للنفوذ السياسى وتتمكن من ابتلاع هذه المنطقة فى مرحلة لاحقة . كما كانت بريطانيا تريد تخويف حكومات تركيا وايران وبعض العرب وفى الوقت نفسه أضعاف تركيا وعزلها بحيث لا تجرؤ على تقديم مطالب تتعلق بولاية الموصل الغنية بالبترول .

ولذلك جاء فى البند ٦٤ من معاهدة سيفر انه إذا ظهر من جانب الشعب الكردى المقيم فى المناطق المعنية فى البند ٦٢ (شرقى الفرات وجنوب ارمنيا) ما يفيد ان أغلبيته ترغب فى أن يكون مستقلا عن تركيا وإذا اتضح لدى عصبة الأمم ان هذا الشعب قادر على الاستقلال .. أوصت بذلك . فتتعهد تركيا من الآن بان تعمل بهذه التوصية وتتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها فى هذه المناطق .

كانت القبائل الكردية قد اشتركت فى الحرب العالمية الاولى منذ اللحظة الأولى مع انه لم تكن لها مصلحة فى الحرب . واشتركت

فى القتال على الجبهتين القوقازيه والعراقيه واصيبت بخسائر جسيمة

وتاسست فى مناطق السليمانيه والجزيرة وغيرها من مقاطعات كردستان ولايات كردية متعددة تحت اشرافها وكانت الادارة الكردية فى السليمانية برئاسة الشيخ محمد البرزنجى .

مرحلة حاسمة

لقد مهدت تلك الأحداث لانتقال حركة التحرر الوطنى للشعب الكردى الى مرحلة جديدة حاسمة من مراحل تطورها التاريخى بعد الحرب العالمية الأولى . وتفاعلت فى تلك الفترة اثار بعض الأحداث الخارجية مع الظروف الداخلية فى تحديد معالم ومسار النضال التحريرى .

وتاتى على رأس تلك الأحداث الخارجية الثورة الاشتراكية فى روسيا والتى انفجرت على تخوم كردستان . والمد العارم الذى شمل شعوب الشرقين الأوسط والأدنى .

ورغم ان كردستان لعبت دورا هاما فى تاريخ غرب اسيا ، إلا انها لم تتمتع ابدا فى يوم من الأيام بالوحدة السياسية .

لقد اتاحت معاهدة سيفر ، بعد الحرب العالمية الأولى ، اقامة كردستان ذات الاستقلال الذاتى ، غير انه لم يتم أبدا التصديق على هذه المعاهدة ، اما المعاهد الفعلية التى جرى تنفيذها .. فهى معاهدة لوزان ١٩٢٣ التى لم تذكر شيئا عن الأكراد .

والذى حدث بالفعل ان كردستان تمزقت بعد الحرب الأولى أكثر من أى وقت مضى .

ولم ينس الأكراد معاهدة سيفر .. ووقعت انتفاضات قصيرة العمر وخاصة فى عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ثم فى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .

كما شهدت كردستان العراق ، بوجه خاص ، فى الأربعينيات موجة قوية من الأفكار الثورية وخاصة فى أوساط المثقفين الأكراد ، وولد عدد من المنظمات والجمعيات اليسارية السرية .



● فتيات كرديات فى عيد نوروز (٢١ مارس) ـ العيد القومى الكردى ـ والمعتقد ان هذا العيد من بقايا الديانة الزرادشتية . ويحتفل به الأكراد باعداد طعام خاص وباشعال النيران على روابى الجبال وبجوار البيوت . ويترجم الاكراد عواطفهم إلى اغانى .. وتقوم نساؤهم بانشاد الاغانى فتنتقل من قرية إلى اخرى على لسان المنشدين .

● الفصل الثالث ●

خريطة بريطانية للمنطقة

كما تزامنت الثورة الوطنية الكردية بقيادة الشيخ عبيدالله النهرى (١٨٨٠ - ١٨٨١) مع أحداث الثورة العرابية فى مصر . كذلك واكبت ثورة الشيخ محمود الحفيد الحاكم العام لكردستان الجنوبية (السليمانية وجوارها بشمال العراق) أحداث ثورة ١٩١٩ فى مصر .

ففى اعقاب الحرب العالمية الاولى .. تعهد البريطانيون بالاتفاق مع الفرنسيين على العمل لمنع عودة السيطرة التركية على الشعوب غير التركية من عرب واكراد وغيرهم مرة أخرى . واصدرت بريطانيا وفرنسا بيانا مشتركا تعهدتا فيه بمساعدة هذه الشعوب على تشكيل دول تحت اشرافها .



كان الشعب الكردى من بين الشعوب التى تطلعت الى مبادىء الرئيس الامريكى ولسون ووعوده من أجل الحرية وحق الشعوب فى تقرير مصير .. وخدعتها هذه الوعود .

وهكذا احتل الجيش الانجليزى مدينة كركوك لأول مرة فى السابع من ابريل عام ١٩١٨ ، وشرعت بريطانيا فى شراء الذمم ورشوة رؤساء العشائر فى محاولة محمومة لخلق موطىء قدم لها فى كردستان واخضاعها واقامة منطقة نفوذ تصلح كقاعدة انطلاق لمنافسة قوية مع فرنسا التى كانت قد حصلت على كردستان الجنوبية (شمال العراق) لتصبح من نصيبها طبقا لاتفاقية سايكس - بيكو (وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا فى ذلك الوقت) التى سبقت الاشارة اليها وكانت بريطانيا تسعى ايضا الى جعل كردستان الجنوبية نقطة انطلاق لمد نفوذها الى كردستان الشرقية (ايران) وكردستان الوسطى (شرقى تركيا) التى كان سكانها يطالبون بالاستقلال وحق تقرير المصير .



تقسيم الشرق الأوسط

يقول جلال طالبانى ان المنافسة الاستعمارية كانت قد بددت .. ومعها عملية تقسيم الشرق الأوسط .

بريطانيا تدبر المكائد للاستحواذ على حصة فرنسا عن طريق السيطرة على سوريا وكردستان الجنوبية ، بينما تصر فرنسا وايطاليا وامريكا على المطالبة بنصيبها من الغنيمة .

واستطاع لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ان يحمل كليمنصو الفرنسى على التنازل عن كردستان الجنوبية فى معاهدة سنان ريمو لبريطانيا مقابل حصة من بترول المنطقة وكجزء من تسوية اعترفت فيها بريطانيا مرة أخرى بالسيطرة الفرنسية على سوريا ولبنان . وقد ندم كليمنصو فيما بعد على تقديم هذا التنازل - غير ان بريطانيا استطاعت بعد ذلك ان تنفرد بالسيطرة على كردستان الجنوبية (شمال العراق) .

فما هى السياسة التى اتبعتها بريطانيا بعد ان خلت الساحة من المنافسة مع الدول الأخرى فى كردستان الجنوبية ؟

انها سياسة التعاون مع الخليفة فى اسطنبول من ناحية ومعاداة حكم الشيخ محمود فى كردستان العراقية من ناحية اخرى

واسفرت هذه السياسة عن انفجار الثورة فى مارس عام ١٩١٩ (مع بدء ثورة ١٩١٩ المصرية) واعتقل الثوار الضباط والجنود الانجليز فى مدينة السليمانية وعندما حاولت قوة بريطانية استرداد المدينة المحررة . لحقت بها هزيمة نكراء على ايدى الثوار الاكراد وفى ٢٤ ابريل عام ١٩١٩ قتل المسلحون الاكراد فى عشيرة كويان الحاكم البريطانى فى مدينة زاخو الكردية (قرب الحدود التركية) وبعدها ثار سكان منطقة العمادية الكردية بقيادة الحاج « شعبان اغا » وقتلوا الحاكم البريطانى ومدير الشرطة هناك كما جرت ابادة قوة كبيرة فى منطقة « مزروكة » ومنيت قوة بريطانية اخرى بالهزيمة فى مضيق « سوارة توكه » .

فى تلك الاثناء . وبالتحديد فى مايو ١٩١٩ ، قررت بريطانيا اقامة دويلات تتمتع بقدر من الحكم الذاتى تحت ادارة شيوخ من الاكراد .. يشرف عليها ضباط بريطانيون (وهى الفكرة التى كانت وراء بنود معاهدة سيفر) .

واستمرت الحرب بين الثوار والاكراد وقوات الاستعمار البريطانى حتى يوم ١٩ يونيو ١٩١٩ حيث جرت معركة كبرى استخدم فيها البريطانيون المدرعات والطائرات والمدفعية ضد الاكراد ، واستطاعت القوات البريطانية بسبب خيانة بعض الاغوات ـ التسلل الى الخطوط الخلفية للقوات الكردية . واصيب الشيخ محمود ، الذى كان يقود رجاله بنفسه ووقع فى الاسر وصدر عليه حكم بالاعدام وتقرر تخفيفه الى السجن المؤبد . والنفى الى الهند .



هـزائم وخسائر

ورغم ذلك ، فقد تردت الاوضاع بالنسبة لبريطانيا بحلول عام ١٩٢٢ حين اصيبت القوات البريطانية فى « دربندى بشدر » فى كردستان بهزيمة كبيرة وخسائر فادحة على ايدى قوات عشائر بشدر ورانيه الكردية .

وقد دفعت هذه الهزائم والخسائر ـ علاوة على العجز فى الخزانة البريطانية ـ حكومة لندن الى السعى الى التقرب من الحركة الكردية وتقرر دعوة الشيخ محمود الى العودة من منفاه بالهند . ووصل الرجل الى السليمانية وسط حفاوة وتكريم مواطنيه ليؤلف الحكومة الكردية المستقلة التى اعترفت بريطانيا و« حكومة » العراق بتكوينها فى بيان رسمى صدر فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٢٢ وهذا هو نص البيان :

« تعترف حكومة صاحب الجلالة والحكومة العراقية بحق الاكراد القاطنين ضمن الحدود العراقية بأن يؤسسوا حكومة كردية ضمن هذه الحدود . وتأمل الحكومتان فى توصل العناصر الكردية المختلفة الى اتفاق فيما بينها حول الشكل المرغوب فيه للحكومة وحدودها ، وفى ان يرسل الاكراد مندوبين مسئولين لمناقشة علاقاتهم الاقتصادية مع حكومة صاحب الجلالة والحكومة العراقية » .

ويرى جلال طالبانى ان التكتيك البريطانى فى ذلك الوقت كان يتركز على تخويف الحركة الوطنية العراقية وحركة مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا بحيث اذا قبلتا بمطالب الاستعمار البريطانى .. فإنه يمكن تسليم كردستان لهما كغنيمة .. وإذا رفضتا .. تكون كردستان ملكا لشعبها الكردى . وربما كان طالبانى على حق فى تفسيره لذلك الموقف . وربما كانت بريطانيا لاتزال فى ذلك الوقت فى مرحلة التجارب والبحث عن افضل السبل لضمان استمرار نفوذها وحماية مصالحها .. إلا أن المؤكد أن عودة الشيخ محمود الى كردستان والاعلان فى عام ١٩٢٢ عن قيام حكومة ملكية كردية مستقلة عاصمتها السليمانية .. كان انتصارا للحركة الوطنية الكردية .

انها الحكومة الكردية الاولى التى ترفع العلم الوطني الكردى وهكذا اصبح الشيخ محمود ملكا كرديا :

وبطبيعة الحال ـ وكما هو متوقع ـ فقد ارادت بريطانيا ان تكون هذه الحكومة اداة لتنفيذ مطالبها وتطبيق سياساتها ولكن الشيخ محمود (الملك) اراد ان تكون هذه الحكومة .. حكومة حقيقية تخدم مصالح الشعب الكردى .. وبدلا من معاداة تركيا المتحررة (كما تريد بريطانيا) .. حاول الشيخ محمود اقامة علاقات ودية مع رئيسها مصطفى كمال اتاتورك [1]



١) مصطفى كمال اتاتورك (١٨٨١ ـ ١٩٣٨) يعتبره البعض واحدا من عظماء القرن العشرين .. دخل حملات ناجحة ، ضد قوات الاحتلال اليونانية والفرنسية والانجليزية ، كما دخل فى صراع مع السلطنة العثمانية بعد ان اصبح السلطان صديقا للحلفاء فى يونيو عام ١٩١٩ ومعارضا لحركة المقاومة الوطنية التى كان مجلس وطنى برئاسته يقودها من انقرة . وقام بتاسيس الجمهورية بعد حرب التحرير (١٩١٩ ـ ١٩٢٣) وحمل لقب اتاتورك (ابو الاتراك) الذى منحه له مجلس الامة التركى سنة ١٩٣٤.

وقد سارع الاكراد الى نجدة مصطفى كمال عندما دعا الى تحرير تركيا من الجيوش الاجنبيه وعملوا تحت قيادة « الحركة العمالية » ثم تنكر مصطفى كمال لوعوده للاكراد باحترام حقوقهم . واعتبر الاكراد ان الزعيم التركى اهدر كل تضحياتهم فى سبيل تحرير تركيا . وكان مصطفى كمال قد وعد الشعب الكردى بمنحه حكما ذاتيا فى مساحة من كردستان اوسع من تلك التى قررتها معاهدة سيفر .

تقارب مع روسيا

ولكن الاخطر من ذلك بالنسبة لبريطانيا . والذى كان بمثابة « كارثة كبرى » تهدد بنسف كل سياساتها ومصالحها .. ان الشيخ محمود اتجه بانظاره نحو روسيا السوفيتية التى كانت ثورتها قد احدثت زلزالا فى العالم بأسره . لو وصف « الملك محمود روسيا السوفيتية البلشفية بانها صديقة للشعوب المناضلة فى سبيل حريتها وبانها » تخدم حقوق واماني الشعوب الناهضة » بل انها « محررة الشرق » . واكد ان الشعب الكردى مستعد لأن « يربط مصيره » بمصير الشعب الروسى » ' ومما زاد من حجم « الكارثة » ان الملك محمود كتب الى الحكومة السوفيتية رسالة يصف فيها الانجليز بانهم « متعطشون لسفك الدماء وامتصاص دم « الشعوب » وطلب الحصول على « بعض المدافع والرشاشات والطائرات والاسلحة ومعداتها ومؤنها » .

كان الشيخ محمود ، مثل غيره من زعماء الحركات الوطنية فى المشرق فى ذلك الوقت يتطلع الى مساعدة الثورة الوليدة فى روسيا لكى يواجه مكائد وجبروت الاستعماريين .

وربما كان الشيخ محمود اول زعيم فى المنطقة يطلب من الاتحاد السوفيتى تزويده بالسلاح لمواجهة القوى الاستعمارية وكان ذلك فى عام ١٩٢٣ عندما « طرق سمع العالم صوت الحرية الحقيقية وتحرر الشعوب من انياب ومخالب الطغاة والجناة المفضوحين عام ١٩١٧ على حد تعبير الشيخ محمود .. وعام ١٩١٧ هو عام الثورة الروسية .



تحـول خطـير

وفى نفس عام ١٩٢٣ تحسنت ظروف بريطانيا بعد ان فرضت معاهدة على العراق وبعد ان قبلت حكومه مصطفى كمال اتاتورك عرض مشكلة الموصل على عصبة الامم

ولم تعد بريطانيا فى حاجة الى الشيخ محمود وحكومته الكردية على حد تعبير . طالبانى بل اصبح اعلان العداء لحكومه كردستان من شروط ومستلزمات تقاربها مع كل من تركيا وايران والعراق . اذن ما المصلحة فى ازعاج هذه الدول كلها من اجل حكومه كردية ليست مستعدة لان تكون اداة طيعه لها

وجاء المنعطف الخطير فى حياة الشعب الكردى فى عهد ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ عندما اتخذت بريطانيا قرارها النهائى بالحاق كردستان الجنوبية (شمال العراق) بالعراق وترك كردستان الوسطى (شرقى تركيا) تحت رحمة حكام تركيا [illegible] كردستان الشرقية (غربى ايران) لايران .

لقد اصبحت مصالح بريطانيا تحتم القضاء على حكومه كردستان وخاصة بعد ان حدد مؤتمر القاهرة برئاسة ونستون تشرشل سياسة بريطانيا فى الشرق عامة . وفى العراق وكردستان بوجه خاص . على اساس ضم كردستان الجنوبية الى العراق وجعلها الجزء الشمالى من الدولة العراقية مع الموافقة على بقاء كردستان الوسطى والشرقية تحت سيطرة تركيا وايران والتراجع عن نصوص معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ بصدد كردستان .



تقديرات خاطئة

اذن فقد حدث تحول في السياسة البريطانية ، فما هي اسبابه

في البداية اتجهت السياسة البريطانية الى خلق ولايات كردية متعددة تحت سيطرة رؤساء او « مشايخ » اكراد من ذوى السطوة والنفوذ على ان يكون ذلك تحت الاشراف البريطاني بهدف الحيلولة دون تحقيق الوحدة الوطنية بين مجموع الاكراد .. وهكذا ارادت بريطانيا ان تطبق سياستها التقليدية القائمة على تقسيم كردستان الى وحدات متعددة مما يتيح لها ممارسه اسلوب « فرق تسد »

أما الأكراد .. فقد كانوا يأملون في أن يتم تحويل هذه الولايات أو الادارات أو الدويلات الكردية (التى اعلنت بريطانيا عزمها على تاسيسها) الى حكومة كردية مستقلة .

غير ان بريطانيا اكتشفت ان تقديراتها كانت خاطئة ، وأن فكرة الولايات او الدويلات لن تحقق الغرض المطلوب منها لسبب هام وهو أن زعماء الاكراد لن يرحبوا بالنفوذ البريطاني (كما كانت تتوقع بريطانيا ، بل اظهروا العداء الشديد للسياسة الاستعمارية البريطانية .

ويقول جلال طالباني ان تراجع بريطانيا عن بنود معاهدة سيفر التى كانت تمنح الاكراد استقلالا ذاتيا يمهد لقيام دولة كردية يرجع الى معارضة تركيا .. كما يرجع الى مقتضيات المساومة مع فرنسا .. ويعود ايضا الى سبب هام وهو عدم وثوق ساسة الامبراطورية بأى كردى ذى نفوذ يمكن الاعتماد عليه في حراسة المصالح البريطانية .. خاصة ان الماضى المعروف للشيخ محمود مع العهد التركى لا يوحى بالثقة . فقد كان الرجل يعيش ثورة دائمة ضد التسلط التركى على حد تعبير احد المعتمدين البريطانيين ..

لقد رفض الشيخ محمود ان يكون العوبة في ايدى الانجليز واصر على نيل الحكم الذاتى كاملا والحد من الاشراف البريطاني على كردستان .

من يدفع الثمن ؟

اذن لابد ان يدفع الاكراد الثمن .. خاصة ان الامير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) .. موضع ثقة الامبراطورية وسوف يتفانى اكثر فاكثر في خدمتها اذا تولى عرش العراق بعربه واكراده .

وكان هناك داخل بريطانيا اصحاب راى يذهبون الى القول بتجنب تجزئة كردستان وضرورة العمل على اقامة دولة كردية من خلال تشجيع قيام اتحاد فيدرالى بين دويلات كردية ذات حكم ذاتى .

ولكن السياسة المناهضة للوحدة الكردية هى التى انتصرت وبدات القوات البريطانية عملياتها العسكرية ضد حكومة الشيخ محمود وقصفت الطائرات البريطانية فى الرابع من مارس عام ١٩٢٣ مدينة السليمانية الكردية بصورة وحشية ادت الى مصرع العديد من سكانها العزل رغم ان الشيخ محمود ترك تلك المدينة حرصا على ارواح السكان .. وحتى لا يقصفها البريطانيون ، واستمرت الحرب ضد السليمانية حتى ١٩ يوليو ١٩٢٤ .



قرار الضم

وحصلت بريطانيا على قرار من عصبة الامم بضم ولاية الموصل (التى تشمل الوية الموصل واربيل وكركوك والسليمانية) الى لواء بغداد ولواء البصرة لتشكيل دولة واحدة تحت الرعاية البريطانية .. وبذلك يكون قد تم الحاق « بقعة جبلية تتوافر فيها اشجار كثيفة وقابلة لتطور كبير » على حد تعبير الانجليز الشائع عن منطقة كردستان العراقية ، الى دولة العراق .

لقد تحولت كردستان الى مجرد « بقعة جبلية ذات اشجار كثيفة »

يقول عزيز شريف فى كتابه : « المسألة الكردية فى العراق » ان الوسيلة التى استخدمتها بريطانيا هى الضم والالحاق .. وعدم افساح المجال امام اى نوع من الحكم الذاتى الكردى .. فقد تحملت الحكومة العراقية مصاريف ومشاق المحافظة على مصالح بريطانيا

فى كردستان الجنوبية بحيث اصبحت هذه الحكومة العراقية الرجعية .. رجل الشرطة الذى يقوم بخدمة وحراسة هذه المصالح البريطانية فى العراق بما فيه كردستان »

وبقرار الضم والالحاق انتقل جزء من كردستان الى العراق هو اقل من ربعها بقليل وبقى اكثر من النصف فى تركيا ، والباقى فى ايران .



جارتان عزيزتان !

واصبحت بريطانيا تعتبر اى عبارة تقال عن تاييدها للاكراد هى مجرد تشهير بسياستها وتشويه لسمعتها !!

قال المندوب السامى البريطانى فى خطاب القاه فى السليمانية يوم ١١ اغسطس عام ١٩٣٠ : « تردد الدوائر غير المسئولة ان سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطانية هى تشجيع القومية الكردية ، وهذا غير صحيح .. ليس لأنه يثير الارتباك للحكومة العراقية فقط ، بل لانه ايضا يحدث ارتباكا لجارتيها العزيزتين : الحكومة التركية والحكومة الايرانية ، ولاشىء ابعد من هذا الظن عن الحقيقة » ! .

ومن الواضح ان بريطانيا كانت ترى ان اقامة اى نوع من الحكم الوطنى الكردى سيؤدى فى النهاية الى تحرر هذا الحكم من أى سيطرة اجنبية ، وبالتالى خروج كردستان من إطار الهيمنة البريطانية ومرة اخرى يجب التاكيد على أنه لم يكن لدى بريطانيا ، فى تلك اللحظة التاريخية ، فئة كردية موالية لها بينما كان اتباعها يحكمون العراق وقد اثبتت تجارب التاريخ حتى الآن ان هذا المعيار اساسى بالنسبة للدول الكبرى .

وعلى سبيل المثال فان نظام حكم معين فى بلد ما يمكن ان ينتهك حقوق الانسان بلا ضجيج وبلا رد فعل اذا كان هذا النظام مواليا للولايات المتحدة الامريكية ، اما اذا كان مناوئا لها فان انتهاكه لحقوق الانسان يمكن ان يؤدى الى تفجير حملات صاخبة فى وسائل الاعلام الدولية للاستنكار والادانة ولو كانت هناك فئة اجتماعية كردية تكرس جهودها لحماية مصالح بريطانيا ، فى تلك اللحظة

التاريخية لربما تغير تاريخ كردستان .. ولربما كانت بريطانيا قد فضلت الاعتماد على هذه الطبقة من الحكام فى مواجهة اعداء اخرين محتملين داخل العراق

غير ان بريطانيا شعرت ان رجال الثورة الكردية تاثروا بنداءات الثورة الروسية على نحو يهدد المصالح البريطانية فى المنطقة ومن ثم قررت احتواء الاكراد فى وعاء اكبر يمكن ان يكسر شوكتهم ويخمد حماسهم .

وفى وقت من الاوقات قيل ان معارضة الامريكيين لاقامة دولة فلسطينية (فى الستينات) ترجع الى اقتناع واشنطون بان مثل هذه الدولة ـ لو قامت ـ ستكون قاعدة للنفوذ السوفيتى فى المنطقة . وعلى ذلك كان على الولايات المتحدة ان تعتبر اسرائيل قاعدة لها فى مواجهة هذا الخطر المحتمل وان تعتبرها جندى الحراسة للمصالح الامريكية .

غير ان وجود الاكراد ضمن اطار دولة العراق دون ايجاد حل عادل للقضية القومية الكردية كان لابد ان يجعل العراق ضعيفا منهكا ومستنزفا فى بنيانه وتركيبه بصورة مستمرة نتيجة معاناته من هذه المشكلة ومضاعفاتها ..

وهذا ما حدث بالفعل ، وما كانت تريده بريطانيا .. ويقول الدكتور شاكر خصباك فى كتابه « الكرد والمسألة الكردية فى العراق .. انه حينما انتهت الحرب العالمية الأولى باندحار الدولة العثمانية .. كانت امال الاكراد والعرب واحدة فى التخلص من نير الحكم العثمانى بصورة خاصة والاجنبى بصورة عامة لكى يحكموا انفسهم بانفسهم ، وإذا كان الأكراد قد طالبوا فى بداية تلك الفترة بدولة مستقلة فإن ذلك لا يعنى ان مصالحهم كانت تصطدم بمصالح العرب ، فالعرب لم يرغبوا فى يوم من الايام فى السيطرة على كردستان وضمها الى ارضهم رغم انوف ساكنيها »

وهذا صحيح لانه من المعروف ان العرب والاكراد كانوا قبل سنة ١٩١٨ يعيشون فى مجتمع واحد مشترك تجمعهم فيه الاخوة وهذا يعنى ان مصالح العرب والأكراد واحدة ، ولكن بريطانيا أرادت

أن تحول دون الوحدة العربية ـ الكردية ضد الاجنبى .. وان تجعل من العراق دولة يتصارع فى داخلها العرب والاكراد بحيث تستخدم ـ هى ـ العرب ضد الاكراد فى مرحلة ما ثم تستخدم الاكراد ضد العرب فى مرحلة اخرى .. وفقا لموقع هؤلاء او اولئك على خريطة المصالح البريطانية ..

كلمة حق

وبطبيعة الحال ، فان الاكراد كغيرهم من الشعوب التى كانت خاضعة للحكم العثمانى ـ مثل العرب والارمن ـ كانو يتطلعون الى اقامة دولة مستقلة تجمع بين اجزاء كردستان ولكن الخطط الاجنبية حالت دون تحقيق هذه الامنية . وبطبيعة الحال فان تلك النتيجة لم تكن مرضية بالنسبة للاكراد ، خاصة ان بعض الشعوب التى كانت خاضعة للحكم العثمانى استطاعت ان تشكل « دولا مستقلة .. فلما فشلت محاولات الاكراد فى نيل الاستقلال وتوحيد كردستان ووجدوا انفسهم مخيرين بين الاتحاد مع العرب او مع الترك لم يترددوا فى اعلان اتحادهم مع العرب . وهنا يقول الدكتور شاكر خصباك انه كان المفروض ان تثبت الحكومة العربية فى العراق للاكراد بأنها عند حسن ظنهم وان اختيارهم كان موفقا فتشعرهم بانهم اسياد فى منطقتهم بكل معنى الكلمة وبأنهم شركاء حقا مع العرب فى الدولة العراقية ، الا ان ذلك لم يحدث مع الاسف .

وإذا كان الدكتور خصباك يتهم الحكومات العراقية السابقة على ثورة ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ بانها اخطات فى حق الاكراد.. فان الروح الموضوعية تحتم أن يمتد هذا الاتهام لكى يشمل كل الحكومات العراقية حتى اليوم .. لان الحكومات السابقة على ١٤ يوليو كانت تتحرك بوحى من المصالح الاجنبية ، اما الحكومات التى اعقبت ١٤ يوليو ، فقد تحركت بدافع الاصرار على الانفراد بالسلطة دون شريك من الاكراد او غير الاكراد من الاقليات الاخرى .. ودون شريك من العراقيين انفسهم .!





● « الموت على الفراش عار ، وإذا قدر لي أن أصاب بطلقة ويحملونني إلى البيت جريحاً ، فإن الجميع سيفرحون لأنني أموت كما يجب أن أموت » . هكذا يقول أحد رؤساء العشائر الكردية والشاعر القومي الكردي ، حاجي قادر الكويي ، يقول أيضاً : « مات مثلت الملوك والسلاطين ، إلا أن الأكراد ظلوا ، كما هم ، رابضين في أرضهم ، صامدين أمام حوادث الدهور وتقلبات الأزمان » .



● للاكراد رقصة خاصة تسمى « جوبى » ، وهى جماعية يتجمع خلالها الراقصون وتتشابك الأيدى ويشكلون شبه حلقة ويتحركون فى شبه دائرة على انغام الطبل والمزمار .. وتتحرك اقدامهم على وقع الموسيقى وتتخلل الرقصة قفزات بينما يدور الراقصون كما لو كانوا حائطا متحركا ، ويقود احدهم الرقصة وفى يده منديل ابيض ..

● الفصل الرابع ●

مولد واختفاء جمهورية كردية !

من الناحية التاريخية ، فإن ثورة البلاشفة ربما تكون قد الحقت الضرر بالأكراد بدلا من أن تساعدهم .

ذلك ان « عقدة » المشكلة الكردية تشبه « العقدة البولندية » وهى ان الأكراد يقعون بين امبراطوريات قوية ، وعلى سبيل المثال فإن ثورة الأكراد وحصولهم على دولة يعنى تدمير الدولة التركية من وجهة نظر القائمين عليها .

وهكذا لم تكن كردستان أبدا كيانا موحدا رسميا .. ولذلك تم تقسيمها فى القرن السابع عشر بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية . وربما كان للأكراد نوع من الاستقلال الواقعى « de Facto » خلال فترة كانت فيها الأمة ـ الدولة شيئا غير معروف فى الشرق الأوسط .



وعندما بدأت الدول الحديثة تخرج الى حيز الوجود من احشاء الامبراطورية العثمانية المفككة والمنهارة عقب الحرب العالمية الأولى .. كانت النظرة الى الأكراد هى انهم المرشحون الطبيعيون للحصول على دولة .

وكانت خطة اقامة كردستان ـ كما هو الحال بالنسبة للدول العربية الجديدة مثل سوريا والعراق ـ على « لوحة مشروعات وتصميمات » دول الحلفاء المنتصرة .

غير ان الأمر لم يتجاوز هذا الحد ، واجتاح الجيش التركى ـ الذى أعيد بناؤه عقب الحرب ـ الاراضى الكردية فى تركيا فى عام ١٩٢٢ .

ومع ذلك كان لايزال فى الامكان اقامة دولة كردية بدعم من الحلفاء .

وكتب السيرارنولد ويلسون ضابط الاتصال السياسى فى السفارة البريطانيةفى بغداد يقول :

« ان فكرة كردستان للأكراد كانت تلقى رواجا بالفعل ، وكان كل الأكراد يتلهفون على تحطيم روابطهم مع تركيا .. وفى جنوب كردستان .. كان اربعة من كل خمسة اكراد يساندون خطة الزعيم الكردى الشيخ محمود لاقامة كردستان مستقلة »

غير انه تم تجاهل المشاعر الكردية .. فقد كان البريطانيون يركزون أنظارهم على البترول فى « الموصل » العراقية بينما يصر الفرنسيون على شروط معاهدة سايكس ـ بيكو الاستعمارية السرية لتقسيم مناطق النفوذ فى العالم العربى بين فرنسا وبريطانيا



الاندماج أو الموت !

.. بدلا من اقامة الدولة الكردية الموعودة .. قررت كل من بريطانيا وفرنسا فى العشرينات ان تكافىء نفسها بطريقة غير مباشرة بالأراضى الكردية والبترول الكردى أو مناطق نفوذ أخرى ومصالح أخرى عن طريق الدول الجديدة التى توجد على رأسها حكومات تابعة للندن أو باريس (العراق وسوريا) .

وثار الأكراد ضد بريطانيا .

وتحدد صباح يوم « نوروز » ٢١ مارس عام ١٩٢٥ موعدا لثورة شاملة يعيد بها أحفاد البطل الأسطورى كاوه الحداد .. أيام المجد .

واقتحمت قوة تركية قرية « بيران » التى كانت مقرا للشيخ سعيد (وهو من أبرز قادة الثورة الكردية) . فنشبت معركة بين أنصاره وبين القوة المهاجمة مما أدى الى اشتعال الثورة فى نفس يوم الاقتحام (السابع من مارس) أى قبل الموعد المحدد بأسبوعين . وكانت المنظمات الكردية قد أسندت مهمة قيادة الثورة للجنرال خالد الجبرائيلى .

ومع ذلك فقد اتسع نطاق الثورة وشملت معظم المناطق الكردية الخاضعة للسيطرة التركية . ولكن القوات التركية تمكنت بعد ذلك من سحق الثورة .

لقد ذبح أتراك مصطفى كمال أتاتورك .. حوالى نصف مليون كردى بقسوة ووحشية .. وزجوا بالألوف فى السجون ودمرت المدفعية والطائرات عشرات القرى الكردية . وجرى استخدام ابشع وسائل التعذيب .

وفى الثانى عشر من ابريل عام ١٩٢٥ اعتقلت السلطات التركية قادة جمعية « تعالى كردستان » وقدمتهم الى محكمة عسكرية صورية أصدرت حكمها عليهم جميعا (وكان عددهم ٩١ وطنيا كرديا) بالاعدام . وتم تنفيذ الحكم فى ٢٧ مايو من نفس السنة فى ساحة المسجد الكبير فى مدينة « ديار بكر » وفى السابع والعشرين من يونيو

عام ١٩٢٥ ايضا تم تنفيذ حكم الاعدام ضد ٤٧ وطنيا آخرين . وفى اليوم التالى تم تنفيذ حكم الاعدام فى ٩٣ وطنيا آخرين فى نفس المكان .

كانت تلك هى أيام المذابح السوداء التى كشفت خداع مصطفى كمال اتاتورك للاكراد والتى صدر خلالها نص دستورى تركى يقرر أن جميع سكان تركيا - بغض النظر عن ديانتهم وقومياتهم - اتراك !

وكان هذا بمثابة اعلان رسمى عن نفى وجود قومية كردية .. واصبح اسم الاكراد منذ تلك اللحظة هو « اتراك الجبال » وبات المطلوب من كل كردى أن « يندمج » فى تركيا او .. يموت !





● يا الهى .. انّ نظرة هذه الطفلة الكردية تتهم العالم بأسره .. بالتغاضى عن ماساة الشعب الكردى ومحنته التى طالت بلا حل قومى .. أو انسانى ..

ثورة جديدة

واندلعت ثورة كردية جديدة فى عام ١٩٢٧ عقب تاسيس حزب « خويبون » (الاستقلال) .. وتحرك الاكراد فى جبال ارارات بقيادة الجنرال احسان نورى باشا .. واستمرت الثورة حتى عام ١٩٣١ ، ولكن القوات التركية تمكنت من ارغام الثوار على اللجوء الى ايران بعد أن نفدت ذخيرتهم وطعامهم .

ومرة أخرى تجددت عمليات القمع الدموية وابادة السكان .. والاعدام الجماعي . والقت السلطات التركية القبض على حوالى مائة من المثقفين الاكراد ، واوثق الجلادون ايديهم وارجلهم ثم القوهم فى اعماق بحيرة « وان » احياء .. ليتحولوا الى طعام للأسماك .

وطويت صفحة حزينة ودامية فى تاريخ الشعب الكردى .. بقيت منها ذكريات ماساوية وكلمات ومواقف خالدة .. مثل كلمة الشيخ عبدالقادر شهيد الثورة الكردية فى تلك العشرينات وهو يتقدم الى المشنقة :

« ايها الجلادون .. لنا الشرف ان نصعد الى اعواد المشانق فى سبيل حرية وطننا .. انكم باعدامنا لا تكسبون سوى غضب الشعب الكردى كما تشحذون عزيمته على النضال فى سبيل استقلاله وحريته .. فلتحيا كردستان وليحيا نضال الشعب الكردى » .

وبعد عشر سنوات من ثورة جبال ارارات .. قامت ثورة جديدة فى « درسيم » عام ١٩٣٧ واستمرت لمدة عامين .



اجتماع الحدود الثلاثة

ودخلت جيوش الحلفاء الى ايران عام ١٩٤١ ، وانهارت السلطة المركزية الايرانية فى الوقت الذى انتشرت فيه الأفكار الداعية الى حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، والتى تدور حول عالم متحرر من الاستعمار والاستغلال ، وخاصة فى منطقة الاحتلال السوفيتية ، وهى مقاطعة موكريان وعاصمتها مهاباد ، وتاثر الاكراد بهذه الافكار التى تتجاوب مع طموحاتهم القومية . وجرت اتصالات بين تجمع « احرار كردستان » فى مهاباد وبين حزب « هيوا » (الأمل) فى العراق ، وتم تأسيس « جمعية كردستان » التى شرعت فى توطيد علاقاتها باكراد العراق وتركيا ، وعقد اجتماع على الحدود الايرانية - التركية - العراقية ، عرف باسم « اجتماع الحدود الثلاثة » وتولت « جمعية بعث كردستان » تشكيل فرع لها فى العراق برئاسة « ابراهيم احمد » وأخر فى تركيا .. وفى وقت لاحق ، أصبح « قاضى محمد ابن القاضى على ابن القاضى قاسم » اقوى شخصيات مهاباد ، زعيم « جمعية بعث كردستان » .

وفى عام ١٩٤٥ انتهت الحرب ضد الفاشية بانتصار الجبهة الديمقراطية . وتحول فرع حزب توده الايرانى « الشيوعى » فى منطقة اذربيجان بشمال ايران الى « الحزب الديمقراطى الأذربيجانى » وكذلك أصبحت « جمعية بعث كردستان » هى « الحزب الديمقراطى الكردستانى » برئاسة قاضى محمد .



« أرمينيا الكبرى »

وقد شهدت اذربيجان ثورة كبيرة كان لها تاثير قوى على تسلسل الأحداث . وقد كتب الاخوان « جيروم وچان تارو » عضوا الأكاديمية الفرنسية مقالا فى مجلة « ايستوريا » فى نوفمبر عام ١٩٥١ جاء فيه انه فى أثناء الحرب العالمية الثانية « كان انهماك الروس والانجلو ساكسون الشديد فى الصراع ضد المانيا حائلا بينهم وبين الاختلاف فيما بينهم ، غير ان المزاحمات والمنافسات كانت مؤجلة ، وقد رايناها تنفجر عندما انطلقت الاشارة من اذربيجان » .

وتقع اذربيجان فى جنوب القوقاز ، وهى مقاطعة يعيش الأرمن والأكراد فى معظمها . وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، كانت لاتزال مقاطعة فارسية مائة فى المائة ، ولكن حدث فى عام ١٨٢٥ ان حصل الجنرال الروسى باسكيافيتش من شاه ايرانى « قليل الشأن » على تنازل لروسيا عن القسم الشمالى من البلاد (وهو ما يشكل حاليا جمهورية أرمينيا السوفيتية) مقابل وعود وهمية .

وأراد الأرمن أن يضموا الى هذه الجمهورية .. البقية الباقية من أذربيجان ليؤسسوا « ارمينيا كبرى » وبالطبع فإن الروس كانوا يدعمونهم .

وفى عام ١٩٤٥ وصفت حكومة طهران جماعة اذربيجان بأنهم عصاة وينبغى اخضاعهم بالقوة ، وأرسلت فرقا من الجيش الى المنطقة ، غير ان الروس قطعوا عليها الطريق .. ومما زاد من تعقيد المشكلة ان الأرمن والأكراد فى اذربيجان كانوا يتبادلون المذابح على مر العصور .



مولد جمهوريتين

وتم الاعلان عن قيام جمهورية اذربيجان الديمقراطيه ذات الحكم الذاتى فى اطار الكيان الايرانى فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٥ فى مدينة

تبريز (التى اصبحت عاصمة للجمهورية) واعلن الأكراد - بدورهم - عن قيام جمهورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتى يوم ٢٢ يناير عام ١٩٤٦ فى ميدان « المشاعل الأربع » بمدينة مهاباد . واصبح قاضى محمد رئيسا للجمهورية جاء الاعلان عن تاسيس هذه الجمهورية فى حماية القوات السوفيتية واستنادا الى « حق جميع الشعوب فى تقرير المصير » فى اطار دولة ايران على حد تعبير قاضى محمد .

واعلنت جمهوريتا كردستان واذربيجان استعدادهما للتفاوض مع حكومة طهران وبالفعل توصل وفدان يمثلان الجمهوريتين الى اتفاق مع المسئولين فى ايران على اعتراف مبدئى بحقوق كردستان واذربيجان ضمن الوحدة الايرانية .

.. وهو الاعتراف الذى تراجعت عنه حكومة طهران فيما بعد .

وعقدت حكومتا اذربيجان وكردستان اتفاقية للمساعدة المتبادلة والدفاع المشترك فى ٢٣ ابريل عام ١٩٤٦ وبدات جمهورية كردستان سلسلة من الاصلاحات .

الورقــة الكــرديــة

وبعد مرور اربعة ايام على اعلان جمهورية « مهاباد » اصدرت اللجنة الوطنية الأرمنية فى سوريا ولبنان بيانا طالبت فيه الأتراك بان يعيدوا الى الاتحاد السوفيتى « المناطق التى اغتصبوها من ارمينيا » واعقب ذلك رحيل عدد كبير من الأرمن الذين كانوا يقيمون فى سوريا ولبنان .. الى ارمينيا السوفيتية على ظهر سفن روسية تحت اشراف لجنةترحيل ارمنية - سوفيتية .

وظهر من يتهم الاتحاد السوفيتى بتحريض الأرمن ضد تركيا كوسيلة للمطالبة ببعض المناطق التركية التى كانت تقطنها اغلبية أرمنية .. وبتحريض الأكراد على اقامة دولة كردية .

وكان اى حدث يتعلق بالأكراد فى ذلك الوقت يثير الشكوك ، وخاصةبعد ان اقتنع الكثيرون بانه من السهل على الاتحاد

السوفيتى أن يلعب بورقة الأكراد ضد تركيا وايران .

كانت عبارة ستالين فى خطابه بجامعة سفردلوف عام ١٩٢٤ تؤرق المضاجع فى الغرب وايضا فى تركيا وايران

« يجب دراسة الحركات القومية من الزاوية التى تكمن فيها مصالح الاتجاه نحو الثورة .. لا من زاوية الحقوق المجردة فحسب »

وظهرت تساؤلات فى بعض عواصم الغرب ودوائر أجهزة المخابرات :

« من يدرى ؟ ربما يسعى ستالين الى تحريض قوميات متعددة .. مثل القومية الكردية .. والقومية اليزيدية والآشورية والصابئية !؟ »[1]



---

(١) صابئية دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية ، وتبعوا يوحنا المعمدان ولما رأوا ان أتباع المسيح زادوا على اتباع المعمدان هاجروا من الأردن الى نهر آخر يجرى من الشمال الى الجنوب ، وهودجلة ويعتقد صابئة العراق أن الله تعالى خلق روحانيا اسمه « هىّ قدمايا » وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة ، ثم خلق روحانيا آخر يدعى « هىّ تنيانى » وخلق معه عوالم اخرى لا يحصى عددها ، ثم خلق مخلوقا ثالثا يدعى « هىّ تليثانى » وخلق معه مثل ما خلق مع سابقيه ، ثم خلق عوالم سبعة تدعى « ألمى دهشوخا » اى عوالم الظلام ، وهى تستمد نورها من الشمس ، وارضنا من جملتها وهم يرون ان الأرض خلقت على شكل مربع ، وانها ثابتة غير متحركة ، ومقامة على هواءين أحدهما خارجى ، والآخر داخلى ، وتحتها ماء انبسطت عليه ، اما السماء ، فيقولون انها مكونة من سبع طبقات ، وان الشمس تقع فى الطبقة الرابعة ، والقمر فى السابعة ، وان الأرض والسماء مركبتان من مادتين هما النار والماء ، وكذلك الكائنات الحية ، ويقولون ان الموت انتقال لا اندثار ، وان الروح لا تطهر إلا إذا خرجت من بدن طاهر ، لهذا يغسلون الميت فى ساعة احتضاره ولا يبكون عليه لأن البكاء ممنوع ، فكل دمعة تذرفها العين على الفقيد تشكل نهرا كبيرا فى طريقه يجعله عاجزا عن عبوره . ويعمل ابناء الصابئة فى صياغة الأدوات الفضية والذهبية ولا يطلعون احدا على اسرار مهنتهم من غير ابناء طائفتهم . وتحتم طقوسهم الدينية الارتماء فى الماء الجارى ، لذلك نراهم لا يسكنون إلا فى الأماكن القريبة من الماء ' وكان احصاء عام ١٩٤٧ يشير الى أن عدد أفراد هذه الطائفة لا يتجاوز فى العراق سبعة آلاف نسمة ..

وسقطت جمهورية كردستان الديمقراطية عقب انسحاب القوات السوفيتية ودخول القوات الايرانية لكى تحل محلها ، وعقب خيانة عدد من رؤساء العشائر الكردية وانضمامهم إلى القوات المهاجمة .

واختفت من الوجود جمهورية اذربيجان مع احتلال القوات الايرانية لمدينة تبريز فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٦ اى بعد عام واحد من تاسيس تلك الجمهورية ، كما اختفت من الوجود جمهورية كردستان الديمقراطية مع احتلال القوات الايرانية لمدينة مهاباد فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٤٦ اى بعد اقل من أحد عشر شهرا من تأسيسها . وتم تنفيذ حكم الاعدام فى « قاضى محمد » وكبار معاونيه فى يوم ٣١ مارس عام ١٩٤٧ فى ميدان « المشاعل الأربع » الذى شهد اعلان الجمهورية . وامسك « قاضى محمد » حبل المشنقة بيديه وصرخ فى وجه الجلادين قبل ثوان من اعدامه قائلا :

« انكم باعدامى تقتلون قاضى محمد .. واحدا .. على أمل القضاء على الشعب الكردى ، ولكنكم على خطا .. فكل وطنى كردى هو قاضى محمد .. فى النضال ، وسيقوم الوطنيون باداء فريضة الكفاح ومواصلته حتى النصر .. ويقينا فإن هذا الشعب لن يرحم جلاديه » .



ستالين والأكراد

كان الأكراد فى الأربعينات يعتمدون على الاتحاد السوفيتى .

ففى آغسطس عام ١٩٤٥ اندلعت الثورة فى بارزان ، وبعد ثلاثة أشهر من نفس السنة عقد مؤتمر كُردى فى مدينة باكو عاصمة جمهورية اذربيجان السوفيتية . وعندما أعلنت جمهورية كردستان الديمقراطية فى مهاباد فى ١٣ يناير عام ١٩٤٦ . سارع الاتحاد السوفيتى الى الاعتراف بهذه الجمهورية .

وبعد قمع ثورة ١٩٤٦ الكردية تقرر نفى زعيم قبيلة بارزان الملا مصطفى البارزانى الى موسكو وظل يعيش هناك حيث دخل الجيش

الاحمر برتبة لواء حتى سمح له عبد الكريم قاسم بالعودة الى الوطن عقب ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بعد ١٢ سنة في المنفى .

وكان الراديو السوفيتي يذيع من ارمينيا السوفيتية اربعة برامج باللغة الكردية كل اسبوع ويحرض المستمعين الأكراد في جبال القوقاز على الثورة ضد « أولئك الذين سفكوا الدم الكردى في العراق » ويدعونهم الى المطالبة بالاستقلال ويتعهد بمساعدة من جانب الحكومة السوفيتية - مادية ومعنوية - لكي تصبح كركوك عاصمة للدولة الكردية العتيدة !

وفي السابع من ابريل عام ١٩٥٩ اجتازت قناة السويس السفينة السوفيتية « جروزيا » وعلى متنها ٨٥٥ كرديا وبينهم العديد من اكراد القوقاز مما أثار القلق في عدة دوائر .

وكان الزعيم السوفيتي الراحل جوزيف ستالين قد القى خطابا امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في عام ١٩٥١ أشار فيه الى أن سوريا هي أقرب البلدان العربية الى الاشتراكية ، ويليها العراق « بسبب وجود العنصر الكردى فيهما ».. وقد اتخذ ستالين نفس الموقف منذ خطابه في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي السوفيتي في مارس عام ١٩٢١ حيث قال : انه في الوقت الذى يشتعل فيه لهيب حركات التحرر الوطني في المستعمرات فإن شعار حق الشعوب في الانتفاضة على الحكومات القائمة هو شعار الثورة مادمنا نهتم بمستقبل الدول العربية والهندية ، وبلاد ما بين النهرين .

وجاء وقت من الأوقات كان الملا مصطفى البارزاني متهما من جانب خصومه بانه « ينفذ أوامر الاتحاد السوفيتي ومخططاته في العراق .. » (!!) بينما تعرض البارزاني لاتهامات أخرى بانه ينفذ تعليمات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ويتعامل مع اسرائيل .. علاوة على صفقاته مع شاه إيران !



العمـــلاق النـــائم

الاكراد الاتراك هم « العملاق النائم » فى كردستان . يصل عددهم الى حوالى ١٢ مليون نسمة ، اى اكثر من نصف مجموع الاكراد فى العالم . عاشوا فى كابوس سياسى قرابة سبعين سنة من الجمهورية التركية .. وقبلها عشرات السنين من القمع والمذابح فى ظل السلطة العثمانية . امضوا ٤٦ سنة فى ظل قانون الطوارىء . وفى عام ١٩٨٣ قررت الحكومة العسكرية التركية إحلال قانون استثنائى محل قانون الطوارىء يمكن فى ظله اعتقال المواطن الكردى لمدة ثلاثين يوما بلا تحقيق او محاكمة أو اتصال بالعالم الخارجي . واصبح اسلوب تعذيب المواطن الكردى مسألة روتينية . اما التحدث باللغة الكردية او الكتابة بها او حيازة شريط « كاسيت » لموسيقى كردية .. فقد كان ، حتى عهد قريب ، جريمة كبرى فى نظر السلطات التركية ، وكذلك ارتداء الأزياء الكردية التى اشتهر الاكراد باعتزازهم بارتدائها . وخلال السنوات العشر الماضية .. تم القبض على ٦٧٠ الف كردى فى تركيا .

وفى هذه الظروف القاسية ، ظهر حزب يسارى متطرف يعمل تحت الأرض ويدعو الى الانفصال . انه الحزب الكردى الوحيد الذى يمارس الارهاب . ولما كان عملاء اجهزة الامن التركية قد اخترقوا هذا الحزب بكثافة .. فقد أصبح مجرد وجوده يكفل للسلطات ذريعة مناسبة لاستخدام العنف والقوة ضد الفلاحين الاكراد . ورغم انتقال هذا الحزب اليسارى المتطرف (حوالى الف عضو) الى تاييد الحكم الذاتى بدلا من الدعوة لاستقلال كل كردستان .. إلا أن وجوده محظور كما هو الحال بالنسبة لأى حزب سياسى كردى ..



● ما ثمن الأمان ؟ فتاة كردية مرهقة فى مخيم للاجئين فى تركيا حيث الجوع والعطش والصقيع .. ونقص الخدمات الصحية .. وتفشى الأمراض ..



● حكمة كردية قديمة تقول : « ان لم يكن الكردى زارعا او راعيا .. أصبح شاعرا » .. فهو عاطفى ، طيب القلب .. حسن المعشر .. لا يعرف الحقد ، ولكن الكردى اشتهر ايضا بانه من اشرس المقاتلين .. وقيل فى الأساطير ان واحدا من رعاة الغنم والأبقار الاكراد يكفى لمحاربة جيش قوامه مائة الف ! .. ولكن الأكراد – رغم بطولاتهم – قد محتمهم اقدام الزمن .. على حد تعبير احد شعرائهم ..

● قاضي محمد يوم ٣١ مارس عام ١٩٤٧ :

« انكم باعدامى تقتلون قاضى محمد واحدا .. على امل القضاء على الشعب الكردى ، ولكنكم على خطأ . فكل وطنى كردى هو قاضى محمد » ..

« كان رجلا ذا معتقدات راسخة مع شجاعة نادرة وتضحية عظيمة » (روزفلت الصغير) .. وقد « أدى شنق هذا البطل الكردى إلى موت الرجل وليس إلى موت فكرة القومية الكردية » ..



.. بل ان موته اعطى لهذه الفكرة قوة دافعة جديدة (القاضى الأمريكى وليام دوجلاس فى كتاب) Strange Lands and friendly People, New york 1951 .

ﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺﷺ



●● عبدالكريم قاسم ..

دعا البارزانى إلى العودة للعراق عقب ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ .. وقال البارزانى انه لم يكن ليقبل رئاسة الحزب الديمقراطى الكردستانى لولا اجبار عبدالكريم قاسم له على تولى المنصب .. وقد اعلن هذا الحزب تاييده لثورة ١٤ يوليو وحكومة قاسم الاولى قبل ان يقع الصدام بينهما فى العاشر من سبتمبر عام ١٩٦١ ..

● الفصل الخامس ●

تحت الخيمة الكردية .. الكبيرة !

طوال السنوات التى انقضت منذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٨ دخل الحزب الديمقراطى الكردستانى الذى تأسس فى العراق عام ١٩٤٦ على يد مصطفى البارزانى معارك هامة .

وقبل ميلاد هذا الحزب كانت احزاب اخرى قد تأسست فى كردستان العراق لعبت دورها فى تعزيز الحركة الحزبية وتطوير حركة تحرر الشعب الكردى وقد استجابت هذه الأحزاب لنداء البارازانى وحلت تنظيماتها ودخلت بصورة جماعية الى الحزب الجديد .



كانت حركة تحرر الشعب الكردى قد بدأت منذ عام ١٩٣٢ تتداخل فى النضال العام للشعب العراقى فى سبيل التحرر الكامل . ولما كانت انتفاضات وثورات الشعب الكردى فى فترة مابين الحربين العالميتين قد اتسمت بافتقارها الى حزب سياسى كفء يتولى قيادتها وتحديد مهامها المرحلية والاستراتيجية وقطع الطريق على العناصر الدخيلة والموسمية .. ولما كان لانتصار القوى الديمقراطية على الفاشية تاثير كبير على انعطاف الجيل الجديد نحو التحرر الفكرى .. وكذلك سقوط جمهورية كردستان .. ودروسه الأليمة .. فقد اتفق الجميع على ضرورة البحث عن مخرج للحركة الكردية وتحريرها من قيادة الاحزاب التقليدية التى لم تكن فى مستوى الأحداث .

ومن هنا كان البند الأول من برنامج الحزب الديمقراطى الكردستانى ينص على ان الحزب هو حزب ديمقراطى طليعى ثورى يمثل مصالح العمال والفلاحين و « الكسبة » والمثقفين فى كردستان . وينص على وحدة كفاح الشعبين العربى والكردى ضد الاستعمار والملكية والرجعية من اجل عراق ديمقراطى متحرر . وكانت أهداف الحزب تتلخص ايضا فى النضال لتحرير العراق من الاحلاف الاجنبية والمعاهدات الجائرة ومن الحكم الديكتاتورى وتشكيل جمهورية ديمقراطية برلمانية تضمن للشعب العراقى حرياته الديمقراطية ولكردستان العراق حكما ذاتيا متطورا ضمن الوحدة الوطنية للشعب العراقى .

ولايمكن انكار ان الحركة الكردية اصبحت جناحا ديمقراطيا للحركة الوطنية العراقية يساهم مساهمة قيمة فى ترجيح كفة الديمقراطية فى هذه الحركة الوطنية العراقية على حد تعبير جلال طالبانى .



ثورة ١٤ تمـوز

وبعد اعلان ثورة ١٤ تموز (يوليو) باقل من ساعة ارسل قادة الحزب الديمقراطى الكردستانى برقية تاييد من كركوك الى قيادة الثورة .. وفى ١٦ يوليو اصدر الحزب بيانا يشيد فيه بانتصار حركة الشعب العربى التحررية ضد الحكم الملكى الفاسد البغيض واقامة نظام جمهورى وانسحاب العراق من حلف بغداد . وقرر الحزب ان يحشد كل قواه للدفاع عن الجمهورية العراقية وان يضع كل امكانياته وقواته تحت تصرف قادة الثورة . ومع قيام عبدالكريم قاسم زعيم ثورة ١٤ يوليو باطلاق الحريات الديمقراطية بما فيها حرية التنظيم النقابى والمهنى والحزبى والتصريح لأول مرة بصدور الصحف السياسية الكردية وبممارسة الحـزب الديمقـراطى الكردستانى النشاط العلنى ، اعلن الملا مصطفى البارازانى رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى انه يعتبر نفسه جنديا لعبد الكريم قاسم . كما خرجت جماهير المدن الكردية (السليمانية وكركوك واربيل وكوسينجق والعمادية وزاخو) فى مظاهرات تاييد للثورة .

وضغطت هذه الجماهير على الوحدات المسلحة من جيش وشرطة لاعلان ولائها للنظام الجديد . ويقول طالبانى انه كان لموقف القيادة الكردية اهمية كبرى فى احباط المناورات والمؤامرات الاستعمارية التى ارادت تخويف الاكراد من « العروبة الصاعدة »

ومما يلفت النظر ان قادة حزب البعث العراقى اتخذوا موقفا سلبيا فى ذلك الوقت تجاه اقرار حقوق الشعب الكردى

وكادت ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ أن تنجح فى القضاء على عوامل التفرقة فى العراق وسط مناخ من الحيوية السياسية والتعددية واليقظة فى مواجهة الخطط الأجنبية . غير ان عواصم الدول الكبرى شعرت انها ستفقد كل شىء فى ذلك البلد الذى يجب تدمير وحدة أبنائه . وكان من أولى أساليب هذا التدمير الايقاع بين العرب والأكراد .

وتزايدت مخاوف الدوائر الأجنبية بعد أن أعلن بيان للمكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى فى ٣ سبتمبر عام ١٩٥٨ عن « التضامن والوحدة الوطنية للشعبين المتآخيين العربى والكردى » وعن « قلق الشعب الكردى .. الذى امتزجت دماء أبنائه الشجعان بدماء أبناء الشعب العربى فى الكفاح ضد عهود الظلم والطغيان .. وهو قلق على مصير حقوقه القومية كشعب ينشد لنفسه ـ بحق ـ اسباب التقدم ..»

وعندما بدأ حزب البعث خططه الانقلابية ضد عبدالكريم قاسم ومحاولات اغتياله .. ضاعف نشاطه لحمل الأكراد على سحب تاييدهم لحكومته والعودة الى حمل السلاح .



استئناف القتال

وكان الحزب الديمقراطى الكردستانى بعد ثورة يوليو يصر على أن العراق هو جمهورية العرب والأكراد وعلى أن العراق اتحاد اختيارى أخوى بين الشعبين وينفى تماما وجود حركة بين الشعب الكردى تستهدف الانفصال عن الجمهورية العراقية

غير أن الدوائر الأجنبية المعادية لثورة ١٤ يوليو نجحت فى احداث الفرقة بين الشعبين من خلال أسلوب « فرق تسد » وشهد شهر سبتمبر ١٩٦١ انهيار العلاقة بين حكم عبدالكريم قاسم والحركة الكردية . ففى التاسع من ذلك الشهر بدأ قاسم يضرب تجمعات الأكراد بالمدفعية والقصف الجوى ثم شرع فى هجومه العام على كردستان فى العاشر من سبتمبر .. فاشتعلت الحرب فى شمال العراق وحمل الحزب الديمقراطى الكردستانى السلاح ضد حكم قاسم الذى انتكس بالحريات الديمقراطية وانتهج طريق الحكم الفردى .

وتؤكد قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى ان تلك الثورةجاءت بعد سلسلة من الإجراءات والقرارات والمواقف التى اتخذها قاسم

ضد الحقوق الكردية مثل الغاء المادة الثالثة من الدستور المؤقت التي تنص على وجوب اقرار حقوق الأكراد القومية ، وصدور قرار بحرمان الطالب الكردى من التدريس بلغته القومية فى المدارس المتوسطة والثانوية واهمال استعمال اللغة الكردية كلغة رسمية فى الدوائر الحكومية فى الألوية الكردية وعدم تعيين الموظفين الاكراد فى منطقة كردستان ونقل وابعاد الموظفين الأكراد فى الشمال الى جنوب العراق وعدم تخصيص اى حصة من المشاريع الصناعية والعمرانية والزراعية وغيرها من مشروعات الخطة الاقتصادية للمناطق الكردية واضطهاد الحزب الديمقراطى الكردستانى ومكافحة الصحافة الكردية والتفريق بين العرب والأكراد .



موقف عبدالناصر

يروى جلال طالبانى ان اللقاءات تعددت بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر فى عام ١٩٦٣ وان الموقف المصرى تبلور بعدها ازاء المشكلة الكردية ، فقد أوضح عبدالناصر فى حديثه الى « ايريك رولو » مراسل صحيفة « لوموند » الفرنسية فى ذلك الوقت ان الأكراد شعب شقيق للعرب ، وهم يتمتعون ـ كغيرهم من الشعوب ـ بحقهم فى ممارسة نوع من الحكم الذاتى . وأعرب عبدالناصر عن تاييده لاعطاء الأكراد فى العراق حكما ذاتيا كما أعلن معارضته للحرب كأسلوب لحل القضية الكردية ورفضه للانفصالية أيضا .

وكان الحل العملى للمسالة الكردية من وجهة نظر عبدالناصر هو حق تقرير المصير « الذى سيستعمله الشعب الكردى حتما بشكل اتحادى مع أشقائه العرب » على نحو يشبه النموذج اليوغوسلافى .

ولذلك عندما تجددت الحرب بين الأكراد والحكومة العراقية فى عام ١٩٦١ ، أعلنت القاهرة عن معارضتها للقتال كأسلوب لحل القضية الكردية ، وعارضت بشدة اشتراك ضباط أتراك وايرانيين فى العمل ضد الأكراد .

ومع ذلك ، فقد ظلت تركيا تعمل على « تتريك » الأكراد ، بينما ظلت ايران تعمل على « تفريسهم » (صبغهم بالصبغة الفارسية) والاصرار على انهم ايرانيون « انقياء » وأريون « اقحاح » تجمعهم بالشعب الايرانى وحدة اللغة والتاريخ والمصير والعنصر '

وقدم شاه ايران كل انواع المساعدات للحركة الكردية طوال الستينات وحتى عام ١٩٧٥ لاستغلال الثورة الكردية للقضاء على الاستقلال الوطنى للجمهورية العراقية فى الوقت الذى كان فيه الأكراد الايرانيون يتعرضون لشتى انواع المظالم .



الاتحاد الاختيارى

كانت فكرة القيادة الكردية ترتكز على اساس ان العلاقة مع العرب هى علاقة اتحاد اختيارى اخوى يقوم على أساس المساواة التامة فى الحقوق والواجبات والاحترام المتبادل للوجود القومى والحقوق القومية وتقدير حقيقة ان الشعب العربى فى العراق هو جزء من الأمة العربية . كما أن الشعب الكردى هو جزء من الأمة الكردية وان مصالح الأمتين واحدة وروابطهما العضوية وثيقة بحيث يعتبر كل نصر تحرزه الأمة العربية فى النضال ضد الاستعمار .. نصرا للأمة الكردية ، وكل انتصار للأمة الكردية فى نضالها العادل يُعد انتصارا للأمة العربية ايضا . ويعارض التيار الأساسى داخل الحركة الكردية فكرة الانفصال كما يعارض فكرة الاندماج والانصهار فى قوميات آخرى .



يقول الدكتور شاكر خصباك « ان اتحاد الأكراد مع العرب لا يعنى انصهار قوميتهم فى القومية العربية .. ولكن اتحادهم مع العرب عن رضى يجعلهم بداهة من أشد انصار القومية العربية المتحررة .. وفى هذه الحالة لابد أن يقابلهم العرب بالمثل فيكونوا انصارا حقيقيين للقومية الكردية المتحررة ».

وكانت وجهة النظر الكردية السائدة هى ان اية خطوة تخطوها القومية العربية نحو أهدافها يجب ان يصحبها توسيع اكثر فى حقوق القومية الكردية .



تجميع القوى

وكانت ظروف القتال طيلة « سنوات عديدة والملابسات التى رافقت اندلاعه فى عام ١٩٦١ من الاسباب التى اعاقت تطور القوى الكردية المستنيرة عن ترقية المستوى الفكرى والسياسى لنضالها ضد القوى المتخلفة داخل الحركة الكردية ذاتها .

ففى ظروف المعارك الحربية فى المنطقة الكردية كان كل من يتقن فنون القتال يتقدم الصفوف ، ويتوارى الى الخلف كل من يعرف كيف يستخدم عقله .. كما ان اعتماد قيادات كردية على سياسة « تجميع القوى » بدون تمييز دقيق يستند الى ارضية سياسية وفكرها ، ولجوئها الى تكتيكات « معينة للحصول على مكاسب مؤقتة .. هذه السياسة ادت الى اتاحة فرصة للقوى المشبوهة والجيوب المتخلفة لكى تعيش داخل « الخيمة الكبيرة » للحركة القومية الكردية .



نفعيون وانتهازيون

والمؤكد انه خلال سنوات القتال ظهرت فى البلاد قوى منتفعة من الصدام المسلح بين الشعبين الشقيقين العربى والكردى .. كانت تسكب الزيت على النار فى شمال العراق لتملأ جيوبها بالمال الحرام . كما ارتبطت تلك القوى بحركة الردة وبمصالح خارجية واصبحت تتربص بالقوى الوطنية وتتآمر عليها .

ولم يعد من السهل على الشرطى الكردى الذى هرب من الخدمة واصبح « آمر بتاليون » (قائد كتيبة) فى الحركة الكردية المسلحة ان يقبل الدعوة الى « عودة الجميع الى اعمالهم ».كما ان التاجر

الصغير الذى كان يبيع صناديق الشاى باسعار مضاعفة ، لن يشعر بارتياح ابدا لعودة السلام الذى تعود معه الاسعار الطبيعية .

كان امثال هؤلاء كثيرين ، وهم ليسوا « عملاء للاستعمار والرجعية » ولكن مصالحهم الضيقة جعلتهم يشكلون نوعا من الاحتياطى أو القوى المعاونة لدسائس الجهات الأجنبية .. فكان لابد ان يكون هؤلاء اعوانا للمتشددين الذين يرفعون عقيرتهم بالصراخ مطالبين بأقصى « الضمانات » وبلا تساهل او تهاون فى الحصول على كل المطالب ، وباسلوب يعنى فى نهاية الأمر تحطيم المساعى من اجل الحل السلمى الديمقراطى .



وعلى سبيل المثال فقد كان الملا مصطفى البرزانى رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى يهادن البعثيين عندما اختلف مع قاسم ثم اصبح يشيد بالديكتاتور عبدالسلام عارف ويقول عنه « ان المؤمن مؤتمن » (والمؤمن هو عبدالسلام عارف !) ويقول انه « يكن كل محبة وتقدير للسيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام عارف .. وان الحكومة بالنسبة لنا مثل « الأب لأسرته واولاده » تسعى دائما من اجل الرفاهية والسعادة » .

وقال البارزانى الذى كان مغرما بتقديم نفسه على انه بطل الكفاح من اجل الديمقراطية انه يؤيد الغاء الاحزاب طالما ان ذلك يحقق مصالح البلاد واهدافها الوطنية » هكذا كان القائد الكردى يصف واحدا من اسوأ حكام العراق (عبدالسلام عارف) الذى كان الشعب العراقى بعربه واكراده لايشعر نحوه الا بالازدراء لتفاهته وانتهازيته وخضوعه للأجانب وقد اطلق عليه فيما بعد اسم « عارف الأول » تمييزا له عن « عارف الثانى) عبدالرحمن عارف الذى تولى بعده الحكم فى العراق)

ولم يعد المواطن العراقى يذكر شيئا عن عبدالسلام عارف سوى ان رائحة « الكولونيا » التى يتعطر بها ! كانت تصل الى نهاية الشارع الذى يشرع فى الدخول اليه ؟

مع الامبراطور

في منتصف عام ١٩٦٦ ، وقف عضو قيادى في الحزب الديمقراطى الكردستانى امام مؤتمر طلابى كردى في اوربا ليعلن ان « كردستان كبرى خاضعة لايران الشاهنشانية (الامبراطورية) افضل من وضع التجزئة » .

إنه الخطأ القاتل الذى تقع فيه القيادة الكردية : عدم التمييز بين الصديق والعدو ، وافتراض ان مساعدة احدى الدول او الجهات للاكراد في وقت ما .. انما يعنى التأييد لنضال الشعب الكردى من اجل الاستقلال وحق تقرير المصير .. وتؤكد دوائر وطنية كردية انه في وقت من الأوقات كان التنسيق بين الملا مصطفى البارزانى وحكم الشاه في إيران قد وصل الى حد التعاون على قمع اى انتفاضة ثورية يقوم بها الاكراد الايرانيون ضد الامبراطور !



التيار الانفصالى

ان التيار الانفصالى داخل الحركة الكردية هو الذى دعا الى تعديل المادة الأولى من الدستور العراقى المؤقت في الستينات والتى كانت تنص على ان « الشعب العراقى جزء من الأمة العربية » لكى يصبح على النحو التالى :

« الشعب العربى في العراق جزء من الأمة العربية »

كما طالب نفس ذلك التيار بأن « يكون قيام وحدات الجيش العراقى بالتحركات العسكرية والتعبوية داخل كردستان بموافقة مجلسها التشريعى او بناء على طلب المجلس التنفيذى »

وقد حاول هذا التيار على الدوام ان يصور الحركة القومية العربية على انها حركة عنصرية وان يدفع الأكراد الى الوقوف في الصف المعادى للقومية العربية .

ويرى التيار الانفصالى « ان بريطانيا نالت حق الانتداب على ولايات البصرة وبغداد والموصل وانه منذ ذلك الوقت احبطت

مشروع دولة عربية موحدة وقررت انشاء دولة عراقية عربية المفهوم يلحق بها كردستان الجنوبى »

ان ماتقرر عقب الحرب العالمية الأولى هو ان تكون ولاية البصرة وبغداد تحت الانتداب البريطانى وولاية الموصل تحت الانتداب الفرنسى (وليس تحت الانتداب البريطانى) ولم يكن هناك اقليم يعرف باسم « كردستان الجنوبى) فى أية فترة من الفترات التاريخية كما ان معاهدة « سيفر » لم تصبح قانونية اذ لم يصادق عليها . ويرى الدكتور محمد رشيد الفيل ان زاخو والعماوية مدينتان عربيتان وان النصوص الآشورية المختلفة تشير إلى ان هذه المناطق كانت تسكنها جماعات اشورية من المجموعات السامية الغربية التى تنتمى الى البحر المتوسط .

وقد ميز الاشوريون القوميات التى كانت تعيش فى كنفهم واعتبروها من طبقات المجتمع الآشورى باعتبارها سامية غربية جاءت من غربى الفرات واستقرت فى السهول الواقعة بين نهر دجلة الشرقى والجبال الشمالية ، ومن جملتها سهل شهر زور والسهول الأخرى الممتدة فى جنوب العمادية ودهوك وزاخو حتى نهر الخابور . وتحدثت الالواح الاشورية عن اقوام سكنوا فى جزيرة ابن عمر الحالية ، وهى المنطقة الممتدة من اعالى نهر دجلة حتى مدينة ديار بكر الحالية . وقد اطلق عليهم الاشوريون اسم « السوتيون » ووصفوهم بانهم اشتغلوا برعى الابل وتربيتها . وتحدث الاشوريون عن اقوام اخرى تعرف باسم « السوبريون » يبدو انها سامية غربية من طلائع الهجرات الارامية التى جاءت من حوض الخابور وسكنت فى المناطق الجبلية الشمالية والبلاد الاشورية . ويبدو ايضاً ان المنطقة الجبلية كانت الموطن الأصلى للأشوريين منذ حضارة القرية الزراعية فى الشمال سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد حتى انهيار دولتهم سنة ٦٠٦ .

غير ان المسألة الكردية لاتتطلب الدخول فى مناقشة حول التاريخ الأشورى كما فعل الدكتور رشيد الفيل .. ، من اجل تغيير وجهة نظر

دعاة الانفصال فى الوسط الكردى ، وخاصة عندما يدعى التيار الانفصالى ايضا ان « العراق لفظة عربية تدل اصلا على القسم الجنوبى او الاسفل الصحراوى من بلاد مابين النهرين وهذا القسم يقطنه العرب فقط وكان يعنى فى العصر الجاهلى بلاد السواد ».

والحقيقة ، فيما يرى الدكتور رشيد الفيل ، ان العراق تعنى الاراضى السهلية التى تقع على حدود البحر ، ولهذا يعتبر الهمزانى .. ان العراق كان ممتدا من سهول هندستان وجنوب ايران ، كذلك يعنى الاراضى المعرضة للغرق والفيضانات .. ولم يرد قط فى اى مصدر من المصادر التاريخية ان العراق يعنى « الأسفل الصحراوى من بلاد مابين النهرين » ولم تتفق قط حدود « السواد » وحدود العراق .

ويريد التيار الانفصالى ان يقول ان العرب هم سكان المنطقة الجنوبية من العراق الحالى .. وقد لايكون ذلك صحيحا فالمعروف ان ديار بكر (التي تقع داخل تركيا الآن) وديار ربيعة ومضر .. سميت كذلك نسبة الى قبائل بكر وربيعة ومضر التى سكنت منطقة الجزيرة قبل الاسلام بمئات السنين وعمرت المدن وسادت المنطقة .

غير ان الأساس الفكرى الذى يكمن وراء الموقف السياسى للتيار الانفصالى هو ان « للعراق مدلولا جغرافيا وبشريا عربيا لاعلاقة له بالكرد وكردستان الا علاقات الجار بجاره .. والجزء المسمى بكردستان العراق حاليا اسمه الأصلى كردستان الجنوبى ولم يكن يشكل جزءا من العراق كما لايشكل جزءا من بلاد مابين النهرين »

ولم يكن الاشوريون يعترفون خلال تاريخهم الطويل بوجود اقوام غير اشورية تسكن فى المنطقة الاشورية التى يعتبرونها الوطن الاشورى الأصلى . وكانوا يحددون وطنهم بأنه يمتد الى بلاد نائيرى (وهى البلاد المحيطة ببحيرة وان الآن) كما كانوا يعتبرون منابع نهر دجلة (شبنات) ضمن حدودهم الجغرافية .

ومعنى ذلك مرة اخرى من وجهة نظر الدكتور الفيل ، انه لايوجد اقليم جغرافى يحمل اسم كردستان العراق ولايوجد اقليم يحمل اسم

عربستان العراق .. فالمنطقة كلها كانت تقع ضمن الامبراطورية الاشورية .

غير ان التيار الكردى غير الانفصالى هو الأقوى كما اتضح من خلال مواقف عدد كبير من القادة الاكراد ، بما فى ذلك قادة يخفون نزوعهم الانفصالى حتى لا يقفوا وحدهم بمعزل عن مجموع ابناء الشعب الكردى .

وكانت العناصر المنتفعة من استمرار الصراع العربى ـ الكردى الى جانب قوى خارجية هى التى تغذى تيارات الانفصال لدى الأكراد ، كما تغذى نزعات الهيمنة والسطوة لدى الجانب العربى وتحرضه على انتاج سياسة « ابتلاع » الأكراد ..

وفى مذكرة عن القضية الكردية كانت مرفوعة الى المؤتمر الفكرى المنعقد فى القاهرة (تقدم بها شوكت عقراوى ممثل الثورة الكردية فى القاهرة فى الخامس من ابريل عام ١٩٦٥) رد قوى على التيار الانفصالى .

بدات المذكرة بفقرة للملا مصطفى البارزانى نفسه جاء فيها : « اننى لم احارب ولن احارب الشعب العراقى الذى انا منه بل حاربت وساحارب الاستعمار والرجعية الغاشمة التى تشترك معه فى امتصاص دماء ابناء شعبى وتحط من كرامة وطنى المقدس .. اننى اوجه ندائى الى الشعبين العربى والكردى على السواء ليتكاتفا ويوحدا جهودهما فى النضال المشترك ضد العدو المشترك ألا وهو الاستعمال واذنابه » .

ولو كانت هذه السياسة هي التي انتصرت .. ولو كان البارزانى قد اخلص لهذا الموقف .. لما استطاعت ايه قوة ان تعبث . بمصالح الشعب الكردى وتهدر حقوقه القومية .





● مصطفى البارزانى فى عام ١٩٤٣ عندما قاد ثورة عشيرة بارزان التى تطورت إلى ثورة وطنية كبرى استمرت لمدة عامين واشترك فيها بعض الضباط الأكراد وانتهت بانسحاب البارزانى عبر الحدود الايرانية مع عدة مئات من رجاله إلى منطقة مهاباد. التى هرب منها بعد ذلك فور سقوط جمهورية كردستان الديمقراطية ..



● مصطفى البارزانى فى الستينات .. بعد عودته من منفاه فى الاتحاد السوفيتى بناء على طلب عبد الكريم قاسم .. وقد آثار الرجل حيرة الكثيرين ، واعتبره البعض لغزا غامضا .. وسط تساؤلات : هل هو عميل سوفيتى ام عميل امريكى ؟ هل هو عميل لشاه إيران ام لاسرائيل ؟ ام انه رجل مستعد للتحالف مع اى « شيطان » من اجل نصرة القضية الكردية ؟



● جلال طالبانى ..زعيم الاتحاد الوطنى الكردستانى ..

انشق هو .. وابراهيم أحمد عن الحزب الديمقراطى الكردستانى علم ١٩٦٤ وقاما بتاسيس الحزب الثورى الكردستانى ، ولجأت جماعة الحزب الأخير إلى إيران بعد انشقاقها لتكوين قيادة للشعب الكردى هناك .. وفى عام ١٩٦٥ عاد المنشقون إلى العراق على أثر تجدد القتال ولجأوا إلى حركة البارزانى إلا أنهم أعلنوا انشقاقهم مرة ثانية علم ١٩٦٦ ، وفى عام ١٩٦٣ طلب جمال عبدالناصر من جلال طالبانى أن ينقل إلى البارزانى تحذيره من أن ينخدع بوعود الحلف المركزى (الذى حل محل حلف بغداد) أو بمزاعم التأييد من جانب الأوساط الأجنبية والصيهونية لأن الهدف هو ايقاع القومية الكردية فى أحابيل الاستعماريين .. الأمر الذى يتعارض مع المصلحة الحقيقية للأكراد ويشوه سمعتهم ..





● يعتقد القرويون الأكراد ان الجن يطوفون بالأودية والجبال .. محاولين جهدهم مضايقة البشر .. ولا يتصدى لهؤلاء الجن سوى « البرى » .. اى « الأخيار » .. كما يفعل هذان المقاتلان من « البيش حركة » . ويتشاءم الكردى من صياح الديكة عند الغروب لانه يدل على « كارثة وشيكة » ولابد من منع وقوع هذه الكارثة بذبح الديك ! وتعتبر « العطسة » الواحدة فالا سيئا عند الشروع فى عمل ما .. وهناك أيام معينة مفضلة لانجاز المهام والواجبات مثل الاثنين والثلاثاء .. بينما الأربعاء يوم سيىء !





● فقراء كثيرون فى كردستان يحلمون بالسلام .. ولكن هناك أيضا من يتلاعبون بقوت الشعب وينتفعون من اقتتال الاخوة .. مثل تاجر الشاى الذى يبيع بضاعته بأسعار مضاعفة .. ويخاف من « شبح » السلام .. حتى لا تعود الأسعار الى حالتها الطبيعية .. انهم أغنياء الحرب فى كردستان !

• الفصل السادس •

مقدمات الصدام ..

وجها لوجه

وقع انقلاب عسكرى فى ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ قاده حلف من البعثيين وعناصر عسكرية اخرى . واشترك ممثلون عن الحزب الديمقراطى الكردستانى فى الوزارة التى تشكلت بين ١٧ و٣٠ يوليو من نفس العام !

لقد لعب الحزب الديمقراطى الكردستانى دور العنصر المساعد لعمليات انقلابية لم يكن هدفها اعادة الديمقراطية الى العراق او الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردى ومنحه الحكم الذاتى الحقيقى .



رفض البارزانى الاشتراك فى الوزارة التى تشكلت بعد ما سمى بـ « انتفاضة الثلاثين من تموز (يوليو) ١٩٦٨ » وهى عبارة عن انقلاب عسكرى جديد انفرد من خلاله حزب البعث (مجموعة احمد حسن البكر وصدام حسين) بالسلطة عقب اقصاء جماعة (عبد الرزاق النايف) رئيس الوزراء والتى كان يطلق عليها البعثيون « الرؤوس الرجعية اليمينية المشبوهة » .

وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها عبد الرزاق النايف رئاسة الحكومة اعلن عدم اعترافه ببيان ٢٩ يونيو ١٩٦٦ الذى يكفل بعض الحقوق للأكراد .

الآن اصبحت الحركة الكردية وجها لوجه امام حزب البعث وعلى راسه احمد حسن البكر وصدام حسين .

فى البداية اصدر مجلس قيادة الثورة العراقى القرار رقم ٥٩ فى الخامس من اغسطس عام ١٩٦٨ بالعفو العام عن المشتركين فى « حوادث الشمال » من عسكريين ومدنيين وكذلك اعادة من يشملهم العفو الى وظائفهم السابقة فى حالة التحاقهم باعمالهم .

وأعلن حزب البعث بعد ذلك ان المؤتمر القطرى السابع للحزب الذى انعقد فى اواخر عام ١٩٦٨ ومطلع عام ١٩٦٩ انتهى الى تحديد موقف الحزب الفكرى والنظرى من المشكلة الكردية وانه تم الاعتراف بالوجود الشرعى للقومية الكردية .. وان مجلس قيادة الثورة أقر انشاء جامعة فى السليمانية وانشاء مجمع علمى كردى كما اقر جميع الحقوق الثقافية واللغوية للقومية الكردية مما يوجب تدريس اللغة الكردية فى جميع المدارس والمعاهد والجامعات ودور المعلمين والمعلمات والكلية العسكرية وكلية الشرطة ، كما قرر مجلس قيادة الثورة اعتبار عيد « النوروز » الكردى عيدا وطنيا فى الجمهورية العراقية واصدر قانون المحافظات الذى ينطوى على لا مركزية الادارة المحلية

بيـان اذار

وفى الحادى عشر من مارس عام ١٩٧٠ صدر البيان الشهير باسم بيان آذار . وذكر مجلس قيادة الثورة العراقية انه اجرى اتصالات مع الملا مصطفى البارزانى وتم تبادل وجهات النظر واقتنع الجميع بضرورة قبول محتويات هذا البيان وتنفيذها

وجاء فى البيان ان مجلس قيادة الثورة قرر .

● ان تكون اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية فى المناطق التى يشكل الاكراد غالبية سكانها ، وتكون اللغة الكردية لغة التعليم فى هذه المناطق وتدرس اللغة العربية فى كافة المدارس التى تدرس باللغة الكردية كما تدرس اللغة الكردية فى بقية انحاء العراق كلغة ثانية .

● مشاركة الاكراد فى الحكم وعدم التمييز بين الكرد وغيرهم فى تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة فى الدولة كالوزارات وقيادة الجيش وغيرها .

● اعادة الطلبة الذين فصلوا او اضطروا إلى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف فى المنطقة الى مدارسهم والاكثار من فتح المدارس فى المنطقة الكردية .

● يكون الموظفون فى الوحدات التى تسكنها كثرة كردية .. من الاكراد او ممن يحسنون اللغة الكردية .

● تقر الحكومة حق الشعب الكردى فى اقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به ، وتكون هذه المنظمات اعضاء فى المنظمات الوطنية العراقية المتشابهة .

● تمديد العمل بقرار العفو واعادة العمال والموظفين من المدنيين والعسكريين الى الخدمة .

● تشكيل هيئة مختصة للنهوض بالمنطقة الكردية باقصى سرعة وتعويضها عما اصابها وتخصيص ميزانية كافية لذلك ، واعداد الخطة الاقتصادية بشكل يكفل التطور المتكافىء لأنحاء العراق

المختلفة مع وإعادة ظروف التخلف في المنطقة الكردية ، وتخصيص مرتبات تقاعدية لعائلات الذين استشهدوا في ظروف القتال من رجال الحركة الكردية المسلحة والعجزة والمشوهين والعمل السريع لاغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق مشاريع سكنية ومعونات عينية ونقدية وتقديم تعويضات .

● اعادة سكان القرى العربية والكردية الى اماكنهم السابقه .

● الاسراع بتطبيق القانون الزراعي في المنطقة الكردية وتعديله بشكل يضمن تصفية العلاقات الاقطاعية وحصول جميع الفلاحين على قطع مناسبة من الارض واعفاؤهم من الضرائب الزراعية المتراكمة عليهم خلال سنوات القتال .

● جرى الاتفاق على تعديل الدستور المؤقت كما يلي .

يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية ، ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية . واضافة الفقرة التالية الى الدستور : تكون اللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية .

● اعادة الاذاعة والاسلحة الثقيلة الى الحكومة ويكون ذلك مرتبطا بتنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق .

● يكون احد نواب رئيس الجمهورية كرديا .

● اتخاذ الاجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها اغلبية كردية وفقا للاحصاءات الرسمية التي ستجرى .

● استغلال الثروات الطبيعية في المنطقة الكردية من اختصاص سلطات الجمهورية العراقية .

● يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق .

ومما لا شك فيه ان مضمون البيان يشكل خطوة كبيرة الى الامام على طريق الحل الديمقراطي للمسألة الكردية . والدليل على ذلك ان

القيادات الكردية لا تمانع في الوقت الحاضر في العودة الى نصوص هذا البيان من آجل تنفيذها بشرط ان يتحقق ذلك في ظل نظام ديمقراطى حقيقى .

خطوات هامة

وقالت الحكومة العراقية انه بعد مرور ستة اشهر على بيان « آذار » (مارس) تم تنفيذ عدة خطوات هامة هى

١ ـ اعلان السلام في المنطقة الشمالية بشكل دائم يختلف عن السلام المؤقت الذى صاحب فترات الهدنة في العهود الماضية .

٢ ـ اعتراف حزب البعث بواقع القومية الكردية وحقوقها وتوثيق هذا الاعتراف في الدستور المؤقت مع تقييم صحيح لحركة الشعب الكردى وثورته باعتبارها معبرة عن تطلعاته

٣ ـ قرار بحل « الفرسان » (الذين كانوا ادوات الحكومات السابقة في المعارك ضد الاكراد) .

٤ ـ اعادة الكثير من الموظفين والـ « بيش مركة » (ميليشيا الحزب الديمقراطى الكردستانى) الى وظائفهم السابقة .

٥ ـ تقلد عدد من الاكراد وظائف حساسة في الدولة .

٦ ـ تشريع قانون لشهداء الحركة الكردية .

٧ـ اتخاذ اجراءات لتحويل ما تبقى من البيش مركة الى حرس حدود .

٨ ـ بدء دراسات لوضع خطط لازالة التخلف الاقتصادى والثقافي والاجتماعي والعلمى الذى تعانى منه المنطقة الكردية نتيجة القتال وسياسة الحكومات الرجعية والعنصرية .



● كان حزب البعث العراقى يريد في ذلك الوقت تدعيم مواقفه وإثبات قدرته على قيادة السلطة ، ومن هنا ضرورة التعاون مع الأكراد .



مشاركة تامة وكاملة

وفي البداية .. كان موقف القيادة الكردية هو الترحيب الشديد ببيان مارس .. وقد كتبت صحيفة « التاخي » الناطقة باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني في ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٠ تقول

« ان حل المشكلة الكردية قد جرى نتيجة جهود حزبين تقدميين وجميع القوى التقدمية والديمقراطية في البلاد .. واستنادا الى ايمان مشترك بالمبادىء التقدمية في حق تقرير المصير » .

وقالت « التاخي » : « انه بالرجوع الى ما تم انجازه في غضون الشهور الستة الماضية (بعد بيان مارس) فمن غير الممكن مقارنته مع ما تم تحقيقه من مكاسب في فترات الهدنه المختلفة مع الحكومات السابقة » .

غير ان صحيفة الحزب الديمقراطي الكردستاني كانت واضحة وصريحة في تحديد مطالب الاكراد في مقالها الافتتاحي يوم ٢٢ نوفمبر عام ١٩٧٢ :

« ان ما يطالب به الشعب الكردى ، وباختصار لا يتعدي تطبيق اتفاقية مارس نصا وروحا ، والمشاركة التامة والكاملة في حكم البلاد وتحديد المنطقة الكردية وتحقيق الحكم الذاتي في موعده ، وتطوير المنطقة الكردية على نحو متكافىء مع غيرها من المناطق واقامة نظام ديمقراطي يطمئن في ظله الشعب الكردى على ان حقوقه القومية التي حصل عليها لن تكون مجالا للالتفاف عليها .. ولكن تحقيق هذه المطالب لا يمكن فصله عن موضوع وضع حد للمحاولات الدائرة لتفتيت الحركة الوطنية الكردية وتصفية قيادتها .. ان سيادة القانون في المنطقة الكردية وتقوية وحدة البلاد وتحقيق مركزية السلطة انما يمكن الوصول اليها بالتعاون مع هذه القيادة الكردية وليس بمعزل عنها او ضدها » .



مسودة مشروع

وساد جو من التفاؤل في كافة الاوساط السياسية في بغداد عقب اعلان بيان ١١ مارس ، وبدا ان المشكلة الكردية التي كانت مستعصية على الحل » وجدت الحل .. وان مسيرة هذا الحل السلمي الديمقراطي قد بدأت .

ولكن العرب والاكراد على السواء في العراق وخارجه ، اخذوا يتابعون في دهشة عبر الشهور الاولى من عام ١٩٧٣ تطور الاحداث على المسرح السياسي العراقي لأن الأمور المتعلقة بالمسالة الكردية سارت في طريق التعقيد بدلا من الحل .

لقد حدد بيان مارس موعد الحادي عشر من مارس عام ١٩٧٤ (اى بعد مرور اربع سنوات) موعدا لتنفيذ الحكم الذاتي في المنطقة الكردية ومع اقتراب هذا الموعد .. كانت المشكلات تزداد تفاقما وتعقيدا ، والعلاقات بين حُزب البعث والحزب الشيوعي من جهة والحزب الديمقراطي الكردستاني من جهة اخرى تتدهور اكثر فاكثر على نحو يهدد وينذر باستئناف الصدام .

واعدت اللجنة العليا » للجبهة الوطنية والقومية والتقدمية » التي تشكلت من حزب البعث العراقي الحاكم والحزب الشيوعي ، مشروعا للحكم الذاتي لمنطقة كردستان .

وكان المشروع في الاصل مجرد ورقة عمل اعدتها قيادة حزب البعث ، ونوقشت في اجتماعات عامة حضرتها شخصيات مستقلة من العرب والاكراد والاقليات القومية ثم نوقشت في اللجنة العليا للجبهة بين الحزبين المتحالفين (البعث والشيوعي) ووضعت في صيغتها النهائية ، وجرى تسليمها للحزب الديمقراطي الكردستاني لدراستها ومناقشتها بصورة مشتركة للوصول الى صيغة موحدة لهذه المسألة التي تحتل اهمية خاصة لوحدة البلاد الوطنية .

وبدأت المداولات حول مشروع الحكم الذاتي بين اللجنة العليا للجبهة وبين ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني (الذى رفض

الدخول الى هذه الجبهة ولم يكن ممثلا فى الحكومة التى منح حزب البعث بعض المقاعد فيها للحزب الشيوعى) .

ونشر الحزب الديمقراطى الكردستانى مشروعا (مضادا) للحكم الذاتى فى التاسع من مارس عام ١٩٧٣ .

وفى اجتماع مناقشة مسودة مشروع الحكم الذاتى الذى دعت اليه القيادة القطرية لحزب البعث يوم ١٨ اكتوبر من نفس السنة ، قال صدام حسين الامين المساعد للحزب .

« وكما هو معلوم لكم ان الاخوة فى الديمقراطى الكردستانى سبق ان قدموا مشروعا ولكننا لم نناقش ذلك المشروع لأنه ـ كما نراه ـ بعيدا عن مفهوم الحكم الذاتى » . وكان هذا هو اول اعلان رسمى عن بدء مرحلة تدهور العلاقات بين حزب البعث والحزب الديمقراطى الكردستانى .

وكانت صحيفة « التآخى » الناطقة باسم الحزب الديمقراطى الكردستانى قد نشرت يوم ١٦ اكتوبر النص الكامل لمشروع الحكم الذاتى الذى قدمه الحزب الى الحكومة والذى يمنح الأكراد سلطات أوسع فى ادارة شئون منطقتهم ، وينص على ضرورة مشاركة الاكراد فى عائدات البترول الذى يتفجر فى مناطقهم .

واعتبرت قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى ان عقد اجتماعات لمناقشة مشروع الحكم الذاتى المطروح من جانب الحكومة بحضور شخصيات مستقلة جزء من خطة لاعلان الحكم الذاتى من جانب واحد .. اذا لم يقبل الحزب الديمقراطى الكردستانى بالمشروع الذى يطرحه حزب البعث .

منطقة متمردة

وفى نفس الوقت .. اعتبرت الحكومة العراقية انها نفذت كل التزاماتها وفقا لبيان مارس وخاصة ما يتعلق باعادة المفصولين وتعليم اللغة الكردية وتخصيص مرتبات تقاعدية لعائلات الذين استشهدوا ابان الاقتتال ومرتبات للمسرحين واقامة الوحدات

الادارية وادخال ستة آلاف من الاكراد ضمن حرس الحدود - ظلوا يعتبرون انفسهم خارج اطار صلاحية السلطة المركزية - وما يتعلق بعودة الآخرين من افراد البيش مركة الى اعمالهم في الارض والمصنع او الوظيفة الادارية . وقالت الحكومة العراقية انها اعطت ستة آلاف آخرين من افراد البيش مركة والمسرحين مرتبات لحين ايجاد اعمال لهم رغم ان ذلك لم يرد في بيان مارس ولم يطالب به الاكراد .. ومع ذلك اكتشف المسئولون في بغداد كما قال لى المتحدثون باسمهم - ان تشكيلات « البيش مركة » (المقاتلين الاكراد) ولم يتم حلها بل تضخمت وزاد سلاحها وان هناك افرادا مجهولين « لا تعرفهم السلطات » يتسلمون الملابس والمساعدات والمرتبات ولا احد يعرف الى اين تتجه هذه الاشياء ومن الذى يتسلمها في نهاية الأمر « حيث ان المنظمات الكردية هى جماعات مغلقة لا احد يعرف ما يجرى بداخلها » .. فقد تم من الجانب الكردى رفض اقتراح بتعيين ضابط محاسب يتولى صرف المرتبات ... اما عن المادة ١٢ في بيان مارس والتى تنص على تعيين كردى ليكون أحد نواب رئيس الجمهورية فانه لم ينفذ لأن الاكراد لم يقدموا من جانبهم ، مرشحا لهذا المنصب .

وحول المادة (١٥) من بيان مارس التى تنص على ان يساهم الشعب الكردى في السلطة التشريعية (المقصود بها المجلس الوطنى) فإنها لم تنفذ لأن تشكيل هذا المجلس الوطنى تأخر « بسبب ظروف المنطقة » وموقف الجانب الكردى من هذا المجلس وعدم دخول الجبهة والانضمام الى الميثاق الوطنى . كذلك كانت وجهة نظر الجانب العراقى ان الجانب الكردى لم ينفذ الالتزام باغلاق الحدود مع ايران واعادة دور السلطة المركزية بمؤسساتها الى المناطق الحدودية سواء المخافر او مراكز الجيش .

ومع مرور الوقت تحولت المنطقة الكردية بالفعل الى ملاذ لكل من يهرب من قبضة السلطة في بغداد او يريد ان يعلن معارضته لها وشرع قادة الحزب الحاكم في العراق في التذكير بأن الفترة بين اصدار

بيان مارس وتنفيذ الحكم الذاتى فى المنطقة الكردية محددة باربع سنوات ، وبالتالى فان « السلطة الثورية » تواجه التزاما ثوريا ، امام شعبها العراقى بعربه واكراده هو تنفيذ الحكم الذاتى فى الموعد المقرر وانهاء الوضع غير الطبيعى الذى يجعل من كردستان « مقرا للعناصر المعادية للنظام » فى الداخل والخارج .. ويسمح باستمرار التهريب الواسع الذى يؤدى الى تخريب الاقتصاد .. واصبح المفترض من وجهة نظر القيادة العراقية ، ان السنوات الاربع .. مدة كافية لكل من يريد ان يتفق ، غير ان هنلك « نية عدم الاتفاق » من جانب قيادة البارزانى ، والدليل على ذلك هو « تبنى هذه القيادة للمتامرين واعداء النظام واستمرار فتح الحدود وطرح صيغ تعجيزية للحكم الذاتى لا تنسجم مع المفهوم الحقيقى للحكم الذاتى مثل مشروع لاقامة نظام فيدرالى » .

مشروع مرفوض

ورفض حزب البعث مشروع الحزب الديمقراطى الكردستانى « لأنه لا يصلح كاساس للنقاش حيث ان مضمونه ليس حكما ذاتيا » .

وقررت السلطة العراقية ان المشروع الكردى مرفوض لأنه لا يتضمن دورا للسلطة المركزية بينما ينص على حق الاعتراض على قوانين تصدر من السلطة المركزية .. وهو امر غير مقبول حتى فى النظام الفيدرالى .

وعقد الحزب الحاكم ندوات مع مختلف الاوساط السياسية لمناقشة مشروعه وتوصل من خلال المداولات فى الجبهة الوطنية الى مشروعه الذى يرى انه يتفق تماما مع ممارسة الحقوق القومية ومع بيان مارس ومع صيغة الحكم الذاتى المعروفة فى العالم والتى تحافظ على وحدة البلاد وتطورها المتوازن واقرت الجبهة المشروع وقدمته الى الحزب الديمقراطى الكردستانى فى الثانى عشر من ديسمبر عام ١٩٧٣ وبدأت مفاوضات بين الجبهة (حزب البعث والحزب

الشيوعى) وبين الديمقراطى الكردستانى وهى المفاوضات التى انتهت الى الفشل . وقال البعث الحاكم ان الملاحظات التى قدمها الجانب الكردى تحولت الى مشروع جديد اكثر تزمتا وتعقيدا للموقف من المشروع الكردى السابق ويحتوى على مواد تخالف نصوص بيان مارس ، ومن امثلة ذلك ان المشروع السابق كان ينص على ان « الجمهورية العراقية وحدة غير قابلة للتجزئة » . واختفى هذا النص من المشروع الجديد ، وفى الوقت نفسه اعترض الجانب الكردى على عبارة « المنطقة الكردية جزء لا يتجزأ من ارض العراق وشعبها جزء لا يتجزأ من شعب العراق » ، مفضلا تعبير « الاتحاد الاختيارى » .

وقد تضمن بيان مارس ان يكون « احد نواب رئيس الجمهورية كرديا » غير ان المشروع الكردى الجديد ينص على ان « يكون نائب رئيس الجمهورية كرديا » .

ويوضح بيان مارس ان الثروات الطبيعية من اختصاص المركز ، اما فى المشروع الكردى فان هناك اشارة الى ان هذا الاختصاص يقتصر على « استخراج النفط » فقط مع تجاهل الموارد الطبيعية الاخرى .

ونشب خلاف ايضا حول تحديد منطقة الحكم الذاتى .

فالطريق الى تحديد المنطقة التى سيقام بها حكم ذاتى للأكراد هو « توحيد المحافظات والوحدات الادارية التى تقطنها اغلبية كردية وفق الاحصاءات التى ستجرى .

مشكلة الاحصاء

وخلال المحادثات التى سبقت بيان مارس ، قال ممثلو الحزب الديمقراطى الكردستانى انهم لا يعترفون بشرعية الاحصاء الذى اجرى فى عام ١٩٦٥ فى ظل حكم عارف الديكتاتورى .. ووافق حزب البعث على ذلك ، واقترح ان يكون احصاء عام ١٩٥٧ هو الأساس فى عملية الاحصاء الجديد الذى يجرى بعد اعلان البيان . وهذا يعنى

اجراء تعداد للسكان فى المناطق التى لا يوجد اتفاق على كونها مناطق تقطنها اغلبية كردية ، وبالتالى عدم الاعتراف بأى تواجد سكانى نشا فى اى من المناطق المذكورة بعد احصاء عام ١٩٥٧ وكانت القيادة الكردية تعترض باستمرار على اجراء احصاء عام للمنطقة الكردية ومحافظاتها واقضيتها « لأن عبد الكريم قاسم جاء بعشرات الالوف من العراقيين العرب واسكنهم بعض المناطق الكردية لكى يضفى عليها الصفة العربية فى حين ان غالبية سكانها الاصليين من الأكراد » .. وقد اشتد الخلاف على تحديد « هوية » بعض الالوية بوجه خاص مثل كركوك .. والسبب هو وجود منابع للبترول هناك !

وعقب اعلان بيان مارس ١٩٧٠ ، وخلال العمل الجارى لتطبيقه ، طرحت مسالة الشروع فى اتخاذ الاجراءات العملية للاتفاق على تحديد المناطق التى تسكنها اغلبية كردية .. واجتمع مرتضى سعيد عبد الباقى ، رئيس « لجنة السلام » الحكومية المكلفة بتنفيذ البيان ، مع مصطفى البارزانى . وعندما تطرقت المحادثات الى موضوع الاحصاء ، قال البارزانى لعبد الباقى انه ليس مستعدا للاعتراف بنتائج الاحصاء اذا كانت هذه النتائج ستقرر ان مناطق يعتبرها ـ هو شخصيا ـ كردية .. لم تعد كردية . وقال : « ان كركوك جزء من كردستان واذا ظهر فى الاحصاء ان اكثرية سكانها ليسوا من الاكراد ، فانا لن اعترف بذلك ، ولن اتحمل امام الاكراد مسئولية التخلى عن كركوك وربما يحدث ذلك بعد موتى » !

ويبدو ان البارزانى كان يشعر بان هناك قرارا حكوميا مسبقا او خطة رسمية سرية مبيتة تتعلق بمدينة النفط ! وعندما وصلت الامور الى هذا الحد ، اعتبر حزب البعث ان الاحصاء لم يعد له معنى او مبرر .. وان بدء تنفيذ هذا الاحصاء يمكن ان يؤدى الى استئناف الاقتتال .. ومن ثم قرر مجلس قيادة الثورة العراقى تأجيل الاحصاء الى وقت آخر .. وقد اعرب البارزانى عن تاييده لهذا التاجيل !



شيوعيون معارضون ! .

ومن الاسباب التى ادت الى تدهور العلاقات بين البعث والحزب الديمقراطى الكردستانى .. وجود مجموعة « القيادة المركزية » بزعامة عزيز الحاج [٢] المنشقة على الحزب الشيوعى العراقى فى كردستان . وكانت تلك المجموعة المناوئة لنظام الحكم وللحزب الشيوعى ترفع شعار اسقاط الحكم القائم فى بغداد منذ وقوع انقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ وتتخذ لنفسها قواعد فى المنطقة الكردية بموافقة البارزانى وتشجيعه .

واعتبر حزب البعث الحاكم ان كل من يتامر على نظامه او يخطط لاضعافه وضربه واسقاطه لابد ان يجد له موقعا فى كردستان وان يتمتع بحماية البارزانى هناك . والعكس صحيح وهو ان كل من يؤيده يلقى اسوا مصير بدليل ان رجال البارزانى قاموا بتصفية قواعد الحزب الشيوعى العراقى بقوة السلاح فى كردستان بعد دخوله الجبهة .

كذلك كان من المفروض ان تسلم القيادة الكردية محطة للاذاعة فى المنطقة الكردية ، فقامت بتسلم محطة اذاعة قديمة لكى تؤسس محطة اذاعة جديدة بدلا منها ! وكان من المفروض ايضا ان تسلم القيادة الكردية اسلحتها الثقيلة وبالفعل قدمت بعض الاسلحة كدفعة أولى « للتغطية » ولم تسلم الباقى .



---

(١) استنكر عزيز الحاج فيما بعد المواقف التى اتخذها من قبل وادان نفسه على شاشة التليفزيون العراقى واعلن تاييده لحزب البعث وقد اسند اليه بعدها منصب رسمى .

● الملا مصطفى البارزانى وصدام حسين يتعانقان بعد توقيع بيان الحادى عشر من مارس عام ١٩٧٠ .. وقد انهارت العلاقات بين الرجلين بعد فترة قصيرة ووصلت إلى حد الصدام المسلح .. وفى شهر ابريل ١٩٩١ تعانق صدام حسين مع جلال طالبانى ثم مسعود البارزانى .. فهل تتكرر القصة ؟





● مسعود البارزانى الذى خلف والده فى زعامة الحزب الديمقراطى الكردستانى يستعرض عددا من مقاتليه فى مقر قيادة الحزب على مسافة ٣٥ كيلومترا من مدينة اربيل يوم ٣٠ مارس ١٩٩١ .. قال الشاعر القومى الكردى عن ماساة مواطنيه « نشبه دودة القز وحشرة النحل لا راحة لهما .. ولا نوم من اجل صنع الحرير والعسل ولكن العثمانيين الذين نعرفهم ياكلون اتعابنا ويعتبروننا قردة ! »

• الفصل السابع •

انهيار « الجبهة »

عندما التقيت في بغداد في الرابع عشر من يوليو عام ١٩٧٤ مع كريم أحمد عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى - وهو كردى -.. كان قد مضى عام على اقامة « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » في العراق .. حيث ان الاعلان عن الاتفاق بين حزب البعث والحزب الشيوعى العراقى على ميثاق العمل الوطنى وقواعد العمل في الجبهة .. كان قد تم إبان الاحتفالات بالذكرى الخامسة عشرة لثورة ١٤ يوليو ..



وعندما سألت كريم احمد ـ عضو وفد المباحثات مع الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ عما تم انجازه في مجال العلاقات بين الحزبين قال « ان المهمة الاولى التي كانت تطرح نفسها بإلحاح على الأحزاب .. قبل قيام الجبهة .. هي التوصل الى برنامج مشترك يحدد بوضوح الأهداف المشتركة « وقد انجز الحزبان مهمة الاتفاق على ميثاق العمل الوطني بصيغته ومفاهيمه واهدافه المشتركة . ويعتبر الحزبان هذا الميثاق وثيقة برنامجية تعبر عن اهداف مرحلة التحرر الوطني الديمقراطية وتخلق ـ في حالة انجازها ـ القاعدة المادية للتحول لبناء الاشتراكية .

وكان كريم احمد يرى ان هناك اسسا تنظيمية اوضحت قواعد عمل الجبهة ، وهذه الأسس هي

● اللجنة العليا للجبهة التي تعتبر الهيئة القاعدة لنشاط كل هيئات الجبهة وتدرس وتقرر مختلف المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية

● سكرتارية اللجنة العليا التي تعتبر الأداة الرئيسية لعمل اللجنة العليا . فهي التي تعد جدول أعمال اجتماعات اللجنة العليا وتدرس مختلف الموضوعات وتتوصل الى تصورات وقرارات أولية على شكل مقترحات مشتركة وتعرضها على اجتماعات اللجنة العليا . كما تشرف على لجان الاختصاص التابعة للجنة العليا مثل لجنة الدعاية والاعلام واللجنة الاقتصادية ولجنة العلاقات الخارجية ، وتشرف أيضا على لجان الجبهة في المحافظات ..

● لجان الجبهة في المحافظات واللجان التابعة لها في نطاق محافظاتها . وقد تشكلت هذه اللجان في جميع المحافظات ، كما تشكلت في بعض المحافظات لجان الأقضية ولجان الاختصاص ».

في تلك الأثناء ، كان هناك متفائلون آخرون في بغداد يعتبرون ان توسيع الجبهة وضمها لكل العناصر الوطنية الديمقراطية

المستقلة والمنظمة وتعميق دور هذه الجبهة فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للبلاد .. هى مهمة عاجلة وملحة ، وكان هناك من يتصور انه يسير على طريق تحقيق هذا الهدف ..

وكان كريم أحمد مقتنعا بان المهمة الضرورية امام الجبهة هى توسيع قاعدتها بين الحزبين بحيث تشمل اصغر وحدة ادارية ، وكان المفترض أن الجهود المبذولة فى ذلك الوقت تستهدف توفير مستلزمات توسيع قاعدة الجبهة بين الحزبين - البعثى والشيوعى - وفى جميع المجالات ..

قال لى كريم احمد .

« ان اللجنة العليا للجبهة تدرك أهمية توسيع قاعدة الجبهة التى تشكل الأساس لتحالف الحزبين والعمل المشترك . ومع ذلك فإنه الى جانب كل هذا التوسع فى قاعدة الجبهة بين منظمات الحزبين .. فإن هذه المسالة ستظل تعبر عن التحالف بين الطلائع السياسية ، وهو تحالف فوقى ، ما لم تستند الجبهة على قاعدة جماهيرية واسعة فى التحالف الثورى بين العمال والفلاحين ومجموع الكادحين والطلاب والمثقفين التقدميين والنساء .. وما لم تضم جميع الوطنيين والقوميين المستقلين الذين يقرون ميثاق العمل الوطنى ويبدون استعدادهم للنضال والعمل المشترك من أجل انجاز هذا الميثاق ، وهذا يتطلب اقامة لجان الجبهة فى كل معمل وقرية ومدرسة وحى ومؤسسة ، واشتراك عناصر حزبية وغير حزبية فى لجانها الشعبية ، وبذلك يتحقق التحالف بين الطلائع السياسية وبين الجماهير الشعبية الواسعة وتستند الجبهة على قاعدة جماهيرية عريضة » ..

ولكن .. ماذا عن المؤسسات الديمقراطية للجبهة ؟

كانت اللجنة العليا للجبهة قد اقرت اقامة مجلس وطنى ، غير ان

التصور الذى كان مطروحا لذلك المجلس الوطنى لا يجعل منه برلمانا حقيقيا باى حال وتم الاتفاق بين قيادتى الحزبين فى ذلك الوقت على قيامهما باختيار ممثليهما فى هذا المجلس . بل واختيار من يمثل نقابات العمال واتحادات الفلاحين والطلبة والنساء والشباب ، وكذلك الشخصيات التى تمثل العناصر المستقلة من الديمقراطيين والقوميين ..

وكان المتصور ايضا ان تكون الخطوة التى تصاحب هذا التشكيل ، هى اقامة الهيئة التشريعية والتنفيذية للحكم الذاتى لمنطقة كردستان التى يجرى تشكيلها على نفس الأسس .. وتقرر ان تكون مهمة ، المجلس الوطنى ، هى العمل على اعداد مشروع الدستور الدائم وممارسة السلطة التشريعية خلال فترة الانتقال التى سيتم تحديدها ، وكذلك العمل على توفير المستلزمات لاجراء انتخابات عامة لانتخاب اعضاء هذا المجلس بعد انتهاء فترة الانتقال وكذلك الحال بالنسبة للهيئة التشريعية لمنطقة كردستان ..



علاقة استراتيجية !

كانت قيادة الحزب الشيوعى العراقى المتحالفة مع قيادة حزب البعث تعتبر ان مسالة قيام الهيئة التشريعية فى كردستان وفى عموم العراق هى مجرد مسالة وقت ..

ولم تتوقف قيادة الحزب الشيوعى العراقى عن اندفاعها لكى تتساءل عما إذا كانت قد استطاعت ان تحتفظ باستقلاليتها ودورها الفعال والنشيط فى ضوء ضوابط واضحة فى علاقتها بحزب البعث .. وعما إذا كانت روح العمل الجبهوى تسود قيادة الجبهة وقواعد الحزبين الحليفين ..

وكانت وجهة نظر قيادة الحزب الشيوعى العراقى « ان الشيء الذى يولد .. لا يولد مكتملا تماما .. إذ لابد من مرور الوقت لكى يتكامل هذا الوليد .. الذى هو ـ فى هذه الحالة ـ الجبهة .. »

فقد ولدت الجبهة فى خيال قادة الشيوعيين العراقيين لكى تنمو وتتطور ، كما ان العلاقة بين حزبهم وحزب البعث قطعت خطوات كبيرة الى الأمام ، بل تسير نحو الأحسن فالأحسن فى اطار الجبهة الوطنية لأن الحزبين « تجمعهما أهداف مشتركة لمدى تاريخى طويل نسبيا ، ويسترشدان ببرنامج مشترك ، ويقفان فى خندق نضالى واحد »

وكان المرجو والمأمول لدى القادة الشيوعيين العراقيين أن تتكون لكلا الحزبين ـ خلال عملية التحالف والعمل المشترك ـ تصورات وافكار واحدة ، ولذلك أكدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى فى أحد اجتماعاتها ان عملية التحالف والعمل المشترك « تحتم تقليص الخلافات الفكرية بيننا وبين حزب البعث العربى الاشتراكى »

وشعر القادة الشيوعيون العراقيون بارتياح بالغ عندما أكد لهم « الرفيق » صدام حسين ، الأمين المساعد للقيادة القطرية لحزب البعث فى ذلك الوقت ، ان العلاقة بين الحزبين ـ الشيوعى والبعثى ـ هى « علاقة كفاحية استراتيجية وليست تكتيكا يوميا يخضع للتبدل وفق الظروف والمواقف المتبدلة »!!!



الموقف من الجبهة

.. ولم يدرك كريم أحمد .. الكردى الذى ولد فى منطقة « دزى » فى ضواحى محافظة اربيل ، والذى عاصر الحركة القومية الكردية لسنوات عديدة ، مغزى معارضة الحزب الديمقراطى الكردستانى الانضمام الى الجبهة الشيوعية ـ البعثية ..

ورغم ان عددا من اعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى الكردستانى اقترح فى عام ١٩٦٧ ضم كريم احمد الى قيادة هذا الحزب .. ورغم انه عاش أحداث المنطقة الكردية كلها ، وزجت به السلطات فى السجن فى أعوام ١٩٥٠ و١٩٥١ و١٩٥٥ ويعرف معنى الحرية .. إلا انه لم يول اهمية لقضية الديمقراطية لأن هناك انجازات وطنية تتحقق فى تلك الفترة ، وهى تكفى وتغنى عن كل شىء بينما كانت الديمقراطية هى شرط بقاء وتعميق تلك الانجازات ..

ولا يرى كريم أحمد من الصورة كلها سوى « ان قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى تعارض صراحة قيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية دون أن تقدم أى مبرر معقول ومقنع لمعارضتها قيام هذه الجبهة »

أما سبب هذه المعارضة من وجهة نظر كريم أحمد ، فانه « وفقا للتحليل الموضوعى ، يرجع الى اتخاذ القيادة اليمينية للحزب الديمقراطى الكردستانى لموقف سلبى تجاه جملة منجزات وطنية تقدمية قبل قيام الجبهة الوطنية .. فقد عرقلت تلك القيادة اليمينية تطبيق قانون الاصلاح الزراعى فى كردستان ، وعارضت المعاهدة العراقية ـ السوفيتية للصداقة والتعاون ، وعارضت من الناحية العملية تأميم شركات النفط الاحتكارية ، وبعد ذلك عارضت ميثاق العمل الوطنى وقيام الجبهة ..»

وتوصلت قيادة الحزب الشيوعى العراقى الى استنتاج جديد ، وهو ان القيادة « اليمينية » الكردية تعارض الجبهة لانها تريد عزل الحركة الكردية عن « المجرى الثورى العام ، الجارى فى العراق فى ذلك الوقت و» حصرها فى اطار قومى سياسى منعزل دون الالتزام باجراء تغييرات ديمقراطية سياسية واجتماعية فى حياة الشعب الكردى » وبعبارة اخرى فإن ما تريده « القيادة اليمينية للحزب الديمقراطى الكردستانى » هو ، بالدقة ، الحيلولة دون ان ينعكس على منطقة كردستان .. كل ما يجرى فى مناطق العراق الأخرى من « اصلاحات تقدمية »..

ولو كان الحزب الشيوعى العراقى قد اتخذ موقف التضامن مع الحزب الديمقراطى الكردستانى حول قضايا الديمقراطية .. لربما اختلفت الأمور كثيرا على الساحة السياسية العراقية ، غير ان حزب البعث نجح فى اجتذاب الحزب الشيوعى وعزل الحزب الديمقراطى الكردستانى واستخدام الحزب الشيوعى فى ضرب القيادة الكردية .. مستثمرا تاميم شركات البترول وابرام معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى ..

التأثير السلبى

وكان تحليل قيادة الحزب الشيوعى العراقى للموقف انذاك هو ان عدم انضمام قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى الى الجبهة « لم يؤثر تاثيرا سلبيا على الجبهة وعملها وانما زاد من اقتناع الحزب الشيوعى وحزب البعث وكل القوى التقدمية بضرورة تحالف وتلاحم القوى التقدمية والمعادية للامبريالية والرجعية والصهيونية والمناضلة فى سبيل التحولات الاجتماعية والديمقراطية ..»



وربما كان التاثير السلبى والوحيد ـ الذى قد تعترف به قيادة الحزب الشيوعى العراقى ـ لرفض الحزب الديمقراطى الكردستانى الانضمام الى الجبهة هو الناتج عن قدرة هذا الحزب الأخير على « خلق المتاعب والصعوبات للسلطة الوطنية وللجبهة الوطنية نظرا لما يتوفر لدى قيادة هذا الحزب من امكانيات وقوى مسلحة مدعومة ماديا وسياسيا من الرجعية والامبريالية بهدف استخدامها كرأس حربة للتآمر الرجعى ضد النظام الوطنى التقدمى فى بلادنا »! (على حد تعبير كريم أحمد) ..

وهكذا فإن تحليل قيادة الحزب الشيوعى العراقى لموقف قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى اقتصر على تسطيح الأمور بحيث يجرى تفسير هذا الموقف على انه مجرد سعى من جانب قيادة الديمقراطى الكردستانى الى اشعال نار القتال فى كردستان حتى لا تجد « السلطة الوطنية » أمامها فرصة لتنفيذ سياستها فى التنمية الاقتصادية الشاملة وعرقلتها وكذلك اعاقة تنفيذ قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان ، وبالتالى عدم استقرار الأوضاع « مما يسهل على القوى الرجعية فرص العمل التآمرى »

وأصبحت رؤية الحزب الشيوعى العراقى للمسألة الكردية تتحدد على أساس ان هناك معركة جارية بين « السلطة الوطنية » و« الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » من جهة و« القيادة اليمينية للحزب الديمقراطى الكردستانى » من جهة أخرى ، وهى معركة « وطنية وطبقية وسياسية » لعزل هذه القيادة سياسيا وفكريا . ويتم ذلك عن طريق :

أولا : تنشيط الدعاية الاعلامية للسلطة وللجبهة الوطنية فى اتجاه فضح النوايا الرجعية لهذه القيادة وكونها لا تمثل حركة

الشعب الكردى ومطامحه القومية التى تتمثل فى تطبيق الحكم الذاتى لمنطقة كردستان واحداث تغييرات اجتماعية فى حياة الشعب الكردى .. باعتبار هذه القيادة تعادى مصالح الكادحين الأكراد ، وخاصة مصالح الفلاحين وتحمى مصالح الاقطاعيين وتتحالف مع الرجعية والامبريالية ..

ثانيا : الشروع فى أقرب وقت فى تشكيل هيئات الحكم الذاتى التشريعية والتنفيذية والادارية بالاعتماد على الجماهير الشعبية فى المنطقة وعلى أساس التحالف بين القوى التقدمية وفى ظروف أوسع الحركات الديمقراطية وضم « الجناح التقدمى للحزب الديمقراطى الكردستانى » وكل القوى القومية التقدمية الكردية الى الجبهة الوطنية ، وتقديم كل المساعدات والدعم للقوى « القومية التقدمية » الكردية من جانب الجبهة لتوحيد صفوفها فى « حزب قومى تقدمى » موحد ..

ثالثا : قيام السلطة باجراءات فورية للانعاش الاقتصادى فى المنطقة ورفع القدرة الشرائية وتوفير سلع الاستهلاك الواسع والمواد الضرورية للجماهير والبدء بانشاء مشاريع انتاجية صناعية وزراعية وتوفير العمل للعاطلين والقيام باصلاح زراعى فى جميع المناطق وتقديم المساعدات والمعونات المالية والتقنية للفلاحين وتمكينهم من حماية مكاسبهم ضد القوى الاقطاعية والعناصر المسلحة التى تدعمها ..

رابعا : خلق الامكانات الضرورية أمام فصائل الأنصار الكردية التى تناضل لتطبيق الحكم الذاتى وحماية مؤسساته واداراته ، وتوفير المستلزمات لكى يساهم الشعب الكردى بنفسه فى تطبيق هذا الحكم الذاتى وفى « تصفية الحركة التى تعيق طموحه القومى وتعرقل التحولات الاجتماعية »



« سوف نستوزرهم ! »

لم يحدث أبدا أن استندت الجبهة على قاعدة جماهيرية واسعة أو « تحالف بين العمال والفلاحين ومجموع الكادحين والطلاب والمثقفين » .. أو على « لجان فى كل مصنع وقرية وحى ومؤسسة » . ولم يحدث انها ضمت « جميع الوطنيين والقوميين المستقلين الذين يقرون ميثاق العمل الوطنى » . كذلك لم يحدث أن تحقق « التحالف بين الطلائع السياسية وبين الجماهير الشعبية الواسعة » ..

كانت تلك هى افكار « كريم أحمد » القائمة على التمنى . أما الواقع فهو أن مجموعة ضيقة للغاية بزعامة أحمد حسن البكر وصدام حسين كانت تحكم العراق قبل أن ينفرد صدام بالسلطة المطلقة . كما أن الجبهة كانت مجرد اتفاق « فوقى » بين قيادتي حزبين .. ولم تكن ثمرة لمعارك شعبية توحدت من خلالها مواقف أعضاء وقواعد الحزبين ..

وكان تفكير قادة البعث فى موضوع « الجبهة » يختلف تماما عن ذلك الذى طرحه كريم أحمد ..

وربما كان « غانم عبدالجليل » عضو القيادة القطرية لحزب البعث والرجل الثانى فى وفد المفاوضات مع الأكراد[1] يعبر بدقة عن تفكير زملائه فى السلطة فى رده على سؤال لى .. نصه .

— « ماذا ستفعلون لتسوية المشاكل مع القيادة الكردية ؟ »

قال غانم عبدالجليل · « سوف نستوزرهم » ! (سنجعل منهم وزراء) ..

ولم يكن من المتصور أن يقف الحزبان : البعث والشيوعى فى « خندق نضالى واحد » عقب المذابح التى وقعت فى الستينات وسقط آلاف الشيوعيين ضحية لها .. وأن يصبح تولى « مكرم الطالبانى » عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى منصب وزير الرى .. وسيلة لمحو ذاكرة رفاق الضحايا ..

ولم تكن لحزب البعث جذور بين صفوف الشعب الكردى فى أى وقت من الأوقات ، ولكن المنافسة كانت على أشدها بين الحزب الشيوعى والحزب الديمقراطى الكردستانى . وقيل انه فى الفترة من ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٠ كانت نسبة الشيوعى الى الديمقراطى الكردستانى فى المنطقة الكردية ، وخاصة بين صفوف المثقفين ١٠ الى واحد تقريبا ..

وعندما وجد الحزب الديمقراطى الكردستانى أن الحزب الشيوعى حصل على حق العمل العلنى عقب انفتاح البعث على الحزب الشيوعى .. اعتبر أن المنافسة ستصبح اشد خطرا مع الحزب (الشيوعى) الذى كان يقدم نفسه

---

(١) اعدمه صدام حسين قبل نهاية السبعينيات ضمن مجموعة من القادة العراقيين .

باعتباره المدافع الأول عن حقوق الشعب الكردى ، وخاصة مع وجود اقليات دينية وقومية فى المنطقة الشمالية تؤيد الحزب الشيوعى . وتغيرت لهجة الحزب الديمقراطى الكردستانى فى حديثه عن الحزب الشيوعى فى نشراته الداخلية . وطلبت قيادة الحزب من المنظمات واللجان تزويدها بمعلومات مستمرة عن سلوك الشيوعيين فى مناطق كردستان والتعرف على نشاطهم . وزادت حساسية القيادة البارزانية تجاه الشيوعيين « الذين اغرتهم كراسى الحكم » . وبدا المثقفون الأكراد يعتبون على مثقفى العالم الثالث لأنهم « تقدميون فى كل القضايا ولكنهم متعصبون ضد القوميات الأخرى عند معالجة مسألة القوميات ! »



طرد « الشريك الأصفر »

ولم تمض شهور على لقائى مع « كريم أحمد » حتى انقلب حزب البعث على الحزب الشيوعى العراقى ..

فبعد أن استعان البعثى بالشيوعى لضرب الحزب الديمقراطى الكردستانى .. لم تعد هناك حاجة للشيوعيين أو الابقاء على « ديكور » الجبهة .. فالحزب القائد من حقه أن يقود منفردا بلا شريك أصغر أو « سنّيد » يضيف بعض الرتوش الى اللوحة السياسية المعدة والمرسومة سلفا ..

وفى أحد اجتماعات « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » طلب صدام حسين حل الاتحادات النقابية والجماهيرية التابعة للحزب الشيوعى وانضمام اعضائها الى الاتحادات والنقابات القائمة والتى تتبع حزب البعث ..

وقال له عزيز محمد السكرتير العام للحزب الشيوعى العراقى : « ولماذا لا تطلب أيضا حل الحزب الشيوعى ؟ »

وكانت هذه هى بداية الصدام بين حزب البعث والحزب الشيوعى ، وهو الصدام الذى أدى الى انهيار الجبهة وخروج الوزراء الشيوعيين من الحكومة وبدء حملة قمع واسعة النطاق ضد

جميع اعضاء الحزب الشيوعى الذين اصبحوا إما فى المعتقلات او مشردين فى المنافى خارج الوطن .

واثبتت تجربة الجبهة ان الحزب الديمقراطى الكردستانى كان رغم كل المآخذ التى يمكن ان توجه اليه على حق عندما رفض دخولها لأنها ليست جبهة حقيقية .. فالحكومة فى العراق لا تضع سياسات وكذلك الجبهة .. وانما صانع القرار هو مجلس قيادة الثورة الذى لا يضم إلا بعثيين ، بل يمكن القول ان صانع القرار الوحيد فى العراق كان ولايزال فردا واحدا بلا رقيب او حسيب ..

ومرة اخرى اقول انه لو كان الحزب الشيوعى العراقى قد اتخذ موقفا مخلصا لقضية الديمقراطية فى تلك الفترة التى تفاقمت خلالها المشكلة الكردية على نحو يؤكد اكثر من اى وقت مضى ان الديمقراطية هى المخرج .. لربما اختلفت امور كثيرة ، غير ان الحزب الشيوعى العراقى وجد ان اجراءات مثل تاميم البترول والحديث عن الاشتراكية تغنى عن اثارة قضية الديمقراطية ، علاوة على ان الحزب كان قد بدا ينعزل عن الجماهير بسبب تبعيته الفكرية التامة لدول الكتلة الشرقية حتى ان صحيفة الحزب كانت تتحدث عن تلك الدول اكثر مما تتحدث عما يجرى داخل العراق ومشكلات مواطنيه !

وفى عام ١٩٥٨ كانت الديمقراطية فى برنامج الحزب الديمقراطى الكردستانى تعنى « اطلاق الحريات الفردية والعامة مثل حرية ابداء الآراء والمعتقدات وحرية الصحافة والتنظيم الحزبى والنقابى لسائر الوطنيين وتشريع دستور دائم مع ضمان اجراء انتخابات ديمقراطية مباشرة يشترك فيها كل من بلغ الثامنة عشرة من عمره من المواطنين ذكورا

واناتا » غير ان الحزب كان فيما يبدو متاثرا بما تردده أحزاب تقدمية » فى ذلك الوقت عن « الديمقراطية الموجهة » التى تعنى ضرورة وجود « ضوابط » للحرية حتى يمكن تحقيق فكرة « لا حرية لأعداء الشعب »... وقد استثمرت انظمة حكم تدعى التقدمية هذه الفكرة لكى ينفرد رموزها بالسلطة ويمارسوا سياسة القمع لكل صاحب رأى ولالغاء الحياة السياسية لشعوبهم وتقييد حق تكوين الأحزاب أو مصادرة هذا الحق تماما .. واقامة نظام الحزب الواحد ..

وهكذا .. دعا الحزب الديمقراطى الكردستانى فى وقت من الأوقات الى ما أسماه بـ « نظام ديمقراطى موجه يضمن الحرية للشعب ويحجبها عن أعدائه » لأن ذلك يكفل حماية مكاسب الشعب .. فضلا عن ان هذا النظام ضرورة ملحة لتطور المجتمع اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ولتوفير الاستقرار والأمان للمواطنين جميعا ..

غير ان قاعدة « حرية انتخاب الشعب لممثليه فى البرلمان ، وانبثاق الوزارة من البرلمان وفرض رقابة شعبية برلمانية على الحكومة المستندة على الاغلبية فى البرلمان » تبدو واضحة فى تصور الحزب للديمقراطية ..

وقد أسقط الحزب دعوته الى « الديمقراطية الموجهة » فى فترة لاحقة ..



وكان ابراهيم أحمد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني يؤكد منذ ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٠ ان حوادث سنوات ما بعد الحرب الأخيرة تظهر بوضوح وجلاء مدى الارتباط الوثيق بين الديمقراطية وبين الحقوق القومية للشعب الكردى ، لا فى العراق فحسب ، بل وكذلك فى جميع الدول التى يعيش فى ظلها الشعب الكردى .. وأوضح انه كلما انتعشت الحركة الديمقراطية فى احدى هذه الدول رأينا الشعب الكردى المضطهد اضطهادا مزدوجا .. بين أول المتنعمين بخيراتها . فبالاضافة الى ممارسته للحريات التى توفرها لمجموع الشعب ، فإنه يستفيد منها لتنظيم صفوفه وتوسيع دعوته وتشديد نضاله للمطالبة بحقوقه القومية المشروعة .. ولذا فإن الشعب الكردى كان ومايزال وسيبقى المدافع المخلص الأمين عن الديمقراطية فى جميع الدول التى يعيش فى ظلها .. وتوطيد النظام الديمقراطى هو الطريق الأساسى للحصول على حقوق الشعب الكردى القومية ضمن الدول التى تحكم كردستان .. كما ان الشعوب التى يعيش معها الأكراد فى ظل دولة واحدة يجب أن تدرك انها لا تستطيع أن تتمتع بالديمقراطية والحرية ، ولا تستطيع حتى الادعاء بذلك إذا لم تناضل لتأييد حقوق الشعب الكردى القومية المشروعة .. باعتبار ان هذا التأييد هو جزء من نضالها فى سبيل حقوقها الديمقراطية وحرياتها هى أيضا .. فلا يمكن الادعاء بوجود الديمقراطية والحرية فى بلد من البلدان إذا كانت هناك ملايين من سكانها محرومة من حقوقها القومية ، ولا يجب أن تنسى هذه الشعوب الحقيقة التى تسطع من خلال الكلمة الخالدة : لا يمكن أن يكون حرا ... شعب يضطهد شعوبا أخرى ..

ومن هنا .. جاء الربط بين اقامة الديمقراطية فى العراق وبين الحكم الذاتي لكردستان ..

• • •

القومية والحزب

وأخذ يتضح تدريجيا ان حزب البعث يتصرف بطريقة توحى بان الحزب الديمقراطى الكردستانى ليس بالضرورة ممثلا للشعب الكردى ، وبأن حزب البعث هو « قائد العرب والأكراد » وبأن الالتقاء مع الحزب الديمقراطى الكردستانى ليس شرطا لازما لتسوية القضية الكردية ..

وقد عبرت قيادة حزب البعث عن هذا الموقف بقولها ان الحزب يرى ان مشاركة القومية الكردية فى السلطة السياسية أمر مطلق وغير مشروط ، أما مشاركة الحزب الديمقراطى الكردستانى فى السلطة فإنها لا يمكن أن تكون مطلقة وغير مشروطة ..

وهذا يعنى أن الحزب الديمقراطى الكردستانى لا يمثل بالضرورة القومية الكردية ، ويصح أن يتولى تمثيلها بعثيون ..

وحذر حزب البعث ، مع اقتراب الذكرى الرابعة لبيان مارس ، من ان أعضاء الحزب وكوادره فقدوا قدرا من الحماسة ازاء تدعيم العلاقات مع الحزب الديمقراطى الكردستانى وانجاز بنود بيان مارس بأفضل الأشكال وأسرعها ..



الموقف النهائى

وحدد حزب البعث موقفه النهائى ومطالبه على النحو التالى

● تطبيق مبدا سيادة القانون ومنع اى ممارسة للسلطة خارج المؤسسات الدستورية والقانونية .

● العلاقة بين حزب البعث و« سلطة الثورة » من جهة والحزب الديمقراطى الكردستانى من جهة أخرى يجب أن تحكمها المصالح الأساسية للثورة وقواها ، ولا يمكن أن تتم على حساب اضعاف الروابط مع اية قوة تقدمية أو فئة أو عناصر تدعم « الثورة » فى المنطقة الشمالية ، ذلك ان « الثورة » لا توافق على تقليص التزامها ازاء الجماهير الكردية واختزال هذا الالتزام بحيث يقتصر الأمر على علاقات أحادية الجانب مع الحزب الديمقراطى الكردستانى فقط

● ضرورة أن يلتزم الحزب الديمقراطى الكردستانى « بقطع علاقاته مع الرجعية الايرانية الحاكمة واغلاق الحدود وتسليم مخافر الحدود الى الجيش » .

● ضرورة التزام الحزب الديمقراطى الكردستانى بعدم محاربة العناصر الوطنية الايرانية وعدم تسليم اللاجئين منهم الى سلطات الشاه ..

● ضرورة التزام الحزب الديمقراطى الكردستانى بالتخلى عن « العناصر الرجيعة والمشبوهة المعادية للثورة » وتجنب ازدواجية العلاقات مع « الثورة » ومع أعدائها فى آن واحد ..

● ضرورة ادانة الاغتيالات السياسية واعتبار كل الجرائم التى تؤدى الى تصدع السلام من الجرائم غير الاعتيادية التى لا تنحصر فى الحدود الضيقة للجريمة بل من الجرائم التى تعرض أمن الدولة للخطر ..

● مطلوب ابعاد رؤساء العشائر الكردية الذين يشكلون خطرا على السلم فى المنطقة الشمالية الى بغداد أو الى أى مدينة أخرى أو توفير الظروف التى تمكن الجميع من العيش فى أماكنهم ومحاسبة

اى شخص يخرج على القانون والأنظمة ويحاول اثارة الفتن .

● ضرورة التزام الحزب الكردستانى بعدم التصدى للقوات المسلحة أثناء قيامها بواجباتها وعدم التصدى لاجهزة الامن والمخابرات العاملة فى المنطقة الشمالية .

● ضرورة التزام الحزب الكردستانى بعدم الاعتداء على العناصر المؤيدة للثورة وعدم خطف وتعذيب وقتل المواطنين والغاء جميع السجون والمعتقلات التى يمتلكها الحزب الديمقراطى الكردستانى واطلاق سراح جميع المعتقلين فيها .

● ضرورة التزام الحزب الكردستانى بان الاتفاق معه على حل المسألة الكردية لا يعنى احتكاره لأجهزة الدولة فى المنطقة الشمالية ولا احتكاره التمثيل فى الأجهزة الرئيسية للدولة

ولا يعيب معظم هذه النقاط سوى ان حزب البعث هو الذى أراد احتكار اجهزة الدولة وكل مناحى النشاط الاساسية رغم انه جاء الى الحكم عن طريق انقلاب عسكرى .

وقالت المصادر الكردية انه تم الكشف عن مؤامرتين لاغتيال مصطفى البارزانى فى ٢٩ ـ ٩ ـ ١٩٧١ وفى ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٧٢ .

وقد أراد حزب البعث أيضا ان يكون هو المسئول عن أية علاقات مع الاقليات الأخرى بحيث لا تتدخل القيادة الكردية فى هذه العلاقات ، وحتى لا تقف القيادة الكردية موقف الدفاع عن الأقليات القومية والدينية الأخرى مما يعزز مكانتها على حساب « الدور الطليعى » للبعث ..

أما عن « العشائر » و« النظام العشائرى » فقد كان هناك نظام « عشائرى » من طراز آخر داخل حزب البعث .. بدون الحاجة الى امتلاك مساحات من الأراضى أو الدخول فى سلك « القبلية » ..

فكل صاحب نفوذ داخل الحزب الحاكم .. كان أشبه برئيس عشيرة !

حـــكم العـــائلة

حسين كامل حسن (٣٣ سنة) وزير الدفاع فى الحكومة العراقية التى تشكلت بعد انتهاء حرب الخليج هو زوج ابنة الرئيس العراقى صدام حسين ..

هذا الرجل الذى يطلق عليه العراقيون اسم « الطفل المعجزة » شغل ايضا من قبل ، منصب المدير الادارى للمكتب التنفيذى (اقوى أجهزة الشرطة السرية العراقية) ثم منصب وزير الصناعة والتصنيع الحربى (والنفط بالنيابة) فى الحكومة التى سبقت تعيينه وزيرا للدفاع . اما « عزة ابراهيم » الذى يعد من الناحية الرسمية الرجل الثانى فى نظام الحكم العراقى ، فإن ابنته هى زوجة « قصى » ابن صدام حسين . ويتولى منصب وزير الداخلية على حسن المجيد ، وهو ابن عم صدام حسين . ويتولى منصب قائد وحدات اطلاق الصواريخ .. الفريق صدام كامل شقيق حسين كامل حسن زوج ابنة صدام ..

ويسيطر على جميع اجهزة المخابرات العراقية اخوة غير اشقاء لصدام : سبعاوى ابراهيم الحسن (مسئول المخابرات العامة) وطبان ابراهيم الحسن وبرزان ابراهيم الحسن التكريتى مسئول المخابرات فى أوربا) ..

وقام « عدى » نجل صدام حسين بتولى رئاسة صحيفة « بابل » علاوة على رئاسة اللجنة الأوليمبية العراقية . كما قام بتاسيس شركة (ضمن شركات أخرى) عديدة لاحتكار استيراد اللحوم الى العراق برأسمال قدره ٣٥٠ مليون دينار . وقد اتضح فيما بعد أن حصة « عدى » تبلغ حوالى تسعين فى المائة . أما شركاؤه .. فإن نصيبهم لا يتجاوز عشرة فى المائة ..

ولم يسأل أحد فى العراق .. حتى نفسه : من أين حصل « عدى » الصغير على رأس المال الذى أسس به هذه الشركة ؟

وكانت هناك ثلاثة أجنحة محجوزة لـ « عدى » فى فندق الرشيد (أفخر فنادق بغداد) بصورة دائمة بهدف توفير « قاعدة » من أجل « تصيد » مضيفات شركات الطيران اللاتى ينزلن فى نفس الفندق !

ويملك « عدى » عددا من سيارات B.M.W بعدد الوان السترات التى يملكها ! وذات ليلة أرسل مجموعة الحراسة الخاصة لاقتحام مقر توكيل شركة السيارات المذكورة فى بغداد للاستيلاء على كل سياراتها دفعة واحدة ! وبعدها جرى اتصال تليفونى من « الرئاسة » بمكتب الشركة وتم إبلاغ مدير المكتب بأنه لا مبرر للانزعاج و .. « لقد اخذنا كل السيارات .. أرسل إلينا فاتورة بثمنها » !! وكتب صاحب التوكيل فاتورة بالمبلغ كما يهوى ويشتهى .. وتلقى الشيك بالمبلغ !!

وبعد الغزو العراقي للكويت وفرض حصار دولي على العراق . طلب « عدى » تحويل مبلغ ٥ ملايين دينار عراقي من حسابه في بنك الرافدين الى دولارات . والمعروف أن السعر الرسمي للدينار كان يساوى ما بين دولارين وثلاثة ، اما سعر الدولار في السوق السوداء .. فقد كان يصل الى خمسة دنانير .. اى أن الخمسة ملايين دينار يمكن مضاعفتها حوالى ثماني مرات اذا تمت عملية التحويل المطلوبة . غير ان التعليمات لدى مدير البنك ، الصادرة اليه من رئيس الدولة نفسه ، كانت تقضي بعدم السماح باى تحويل من هذا النوع إلا بموافقته شخصيا مهما كان السبب ومهما كان الشخص . ولذلك اعتذر مدير البنك لـ « عدى » بقوله انه لو كان صاحب التعليمات اية شخصية أخرى غير « السيد الرئيس » لتجاوز التعليمات .. اما وان الذى اصدر التعليمات هو « السيد الرئيس شخصيًا » .. فإن مدير البنك يصبح بلا حيلة ، ولا يستطيع التصرف وتلبية طلبه . ووجه « عدى » الإهانات الى مدير البنك الذى اتصل برئيس الديوان « الجمهورى » لابلاغه بمضمون مطلب « عدى » . واتصل رئيس الديوان ـ بدوره ـ بالرئيس صدام الذى تساءل في « براءة » : « الا يريد عدى تحويل المبلغ من حسابه الخاص ..أم من حساب الدولة ؟

(وكان « عدى » له حساب خاص من نتاج عرق جبينه أو ورثه من أبيه .. وليس حسابه كله من مال الدولة !!) ..

فجاء الرد : « من حسابه الخاص » !

وعندئذ قال الرئيس صدام : « إذن .. ما هى المشكلة » ؟ وتم التحويل !!

وكان خيرالله طلفاح (خال صدام حسين ووالد زوجته ...والرجل الذى تولى تربيته) يتولى « تسهيل » صفقات رجال الأعمال والمستوردين ورعاية مصالح طلاب الحاجات والباحثين عن الثراء السريع ..ولم تقل عمولته في أى مرة عن المائة الف دينار في أبسط العمليات ، اما في العمليات « الكبيرة » فإن العمولة كانت تصل الى ملايين . وأصبح الدخل اليومي للرجل يقدر بملايين الدنانير (عشرة ملايين تقريبا) . وعندما بات لنشاطه رائحة تزكم الأنوف .. اضطر البعض الى مفاتحة صدام في الأمر .. واكتفى صدام بأن طلب منه البقاء في منزله .. الى حين !

والأحاديث كثيرة عن مليارات الدولارات التى يحتفظ بها رؤوس النظام الحاكم في بغداد .. في بنوك العالم .



● تستمتع الفتاة الكردية بوقت فراغها ، وتستطيع توجيه التحية إلى اقاربها وجيرانها .. وحتى إلى الغرباء .. غير انها ينبغى الا تدخل فى حديث لا ضرورة له مع الرجال حتى لو كانوا من اقربائها ، ويجب ان تحسن التصرف خارج البيت .. فالحرية تقترن بقانون اخلاقى صارم .. غير ان هذه الصرامة لا تحول دون المشاركة فى الحفلات والمهرجانات .. والرقص احيانا ..

• الفصل الثامن •

قائمة اتهامات للبرزانى !

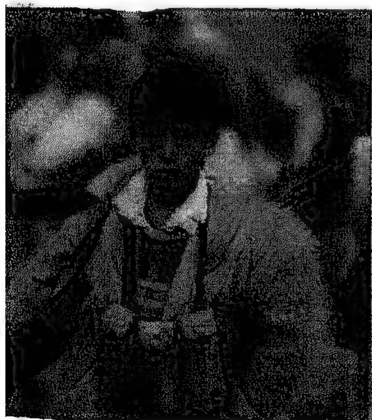
بدا اصرار الحزب الديمقراطى الكردستانى واضحا على استمرار علاقاته مع طهران .. على أساس « ان وجود صلات بين الناس على جانبى الحدود .. والتنقلات بين السكان أمر مألوف » ـ وهذا تبسيط للأمور بعيد عن الجدية ـ وكتبت صحيفة « التاخى » الكردية تقول : انه « حق طبيعى » للشعب الكردى أن يسعى للحصول على كل المساعدات التى تمكنه من مواصلة حقه فى الحياة وتسعف المواطنين الأكراد الأبرياء المنكوبين بويلات الحرب . ومن هنا فإن الصحيفة لا تنكر ان مساعدات وصلت الى الأكراد عن طريق غير طريق العراق (المسدود فى وجوههم) ومنها طريق ايران ، فقد « اضطرت الثورة الكردية الى شراء المواد الغذائية وحتى الأسلحة من الخارج وجلبها الى كردستان ، وهذا هو ما يفسر تبادل الزيارات بين كبار القادة الأكراد ومسئولى الدول الأخرى وخاصة ايران »

كانت ايران تعرف ان انتصار الحركة الكردية فى العراق سيدفع الاكراد فى ايران إلى المطالبة بحقوقهم وهذا ما لا يسمح به حكام طهران .

« تعريب » و« تبعيث »

اما عن الاصلاح الزراعى ، فقد كان من الواضح ان عرقلة اعماله فى المنطقة الشمالية اصبح مسالة متعمدة ، فالاستيلاء على الأراضى ، والذى يشكل الخطوة الاساسية الاولى فى الاصلاح الزراعى ويجرد كبار الملاك من نفوذهم الاقتصادى ، قد تعثر بسبب منع موظفى الاصلاح الزراعى من اجراء عملية الاستيلاء ، كما حدث فى قضاء بنجوين أو بسبب حجج معينة مثل حجة ان الارض غمرتها مياه حوض « دوكان » .

ومن الناحية الاخرى ، فإن الحزب الديمقراطى الكردستانى كان يرى ان الحكومة تستخدم الاصلاح الزراعى فى المناطق التى توجد فيها اقليات كردية للضغط على انصاره وبغرض « التبعيث » ـ نشر نفوذ حزب البعث ـ .. و« التعريب »!



● هذا الطفل الكردى الذى يحمل سلاحه وذخيرته ويرتدى الفراء ليحمى طفولته من برد الشتاء القاسى فى جبال كردستان .. قرر ان يدافع عن نفسه ضد حملات الابادة .

تغيير الواقع القومي

وفي اول يونيو عام ١٩٧٣ اصدر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني بيانا حول اصرار السلطة في بغداد على سياسة تغيير الواقع القومي في كردستان العراق ومتابعة هذه السياسة بعناد .. ووصف البيان هذه السياسة بانها « عنصرية كريهة » ترمي - كخطوة أولى - الى تغيير الواقع القومي في اجزاء مهمة من كردستان ، واشار البيان الى ان السلطة في بغداد ركزت جهودها خلال السنوات الثلاث ، السابقة على تاريخ صدور البيان ، على تنفيذ هذا الهدف في مناطق كركوك وخانقين وسنجار وبعض اقضية محافظتي نينوى ودهوك ، اي في تلك الأجزاء من كردستان التي يوجد فيها عرب وتركمان واشوريون وغيرهم ..

واتهم البيان الحكومة العراقية باستخدام الأساليب التالية لتحقيق هذه الغاية :

- استقدام العشائر العربية الموالية للسلطة باعداد كبيرة من محافظات اخرى بهدف اسكانها في كردستان ..
- خلق الفرقة والبغضاء بين الأكراد والأقليات القومية والمذهبية الاخرى داخل كردستان ..
- ممارسة الارهاب والأساليب اللاإنسانية ضد اكراد هذه المناطق واغداق المال والسلاح على بعض العناصر الكردية المأجورة وترحيل العائلات الكردية بشكل جماعي ..
- شراء الأملاك والأراضي من « اقطاعيين أكراد على أيدي اقطاعيين عرب مزودين باموال الدولة » بهدف تهجير الفلاحين الأكراد منها واحلال العرب مكانهم ..

ومن وجهة نظر الحزب الديمقراطى الكردستانى فإن خمسة وسبعين في المائة من أعمال العنف او « الحوادث المؤسفة » التى وقعت في صيف عام ١٩٧٢ في سنجار وكركوك .. كانت مجرد ردود فعل مشروعة تجاه محاولات « تغيير الواقع القومى » .

غير ان « البارزانى » « الغامض » كان يثير حيرة الكثيرين بمواقفه المتناقضة .. كما كان يثير السخط بسبب استعداده الدائم للتعامل مع قوى خارجية بحجة ان ذلك من ضرورات حماية الثورة الكردية ..

دعوة التدخل

في ٢٢ يونيو عام ١٩٧٣ توجه « جيم هوجلاند » مراسل صحيفة « هيرالد تريبيون » الامريكية لمقابلة الملا مصطفى البارزانى في مقره الجبلى ببلدة « حاج عمران » بشمال العراق . وقال البارزانى للمراسل

« هؤلاء العرب يفضلون . كما يبدو . حالة اللاحرب واللاسلم في كل مكان . ان لدينا مثل هذه الحالة هنا أيضا حيث يشنون الحرب تحت ستار اتفاقية للسلام » .

وقال المراسل الأمريكى « ان البارزانى . البالغ من العمر سبعين سنة . لم يعد يخفى شعوره بان صراعا جديدا بدأ يختمر بين القومية الكردية والقومية العربية . وهو يدّعى ان اتفاقية عام ١٩٧٠ . التى وعدت الأكراد بالحكم الذاتى والحماية . بدأت تنهار . ويقوم البارزانى حاليا باعادة حشد قوات الـ « بيش مركة » كما نصب أتباعه مدافع مضادة للطائرات حول مقره الذى يتكون من خيام بيضاء .. وعلى التلال المجاورة يقوم متطوعون جدد بالتدرب على اطلاق المدفعية ..

ويستطرد چيم هوجلاند قائلا ان رياحا جبلية كانت تزمجر بقوة حول تلك الخيام بينما « الجنرال » مصطفى البارزانى يتحدث معى فى دار الضيافة فى « حاج عمران » ويوجه نداء مباشرا للحصول على مساعدة امريكية « لهذا الوطن الصغير الذى يضم شعبا فقيرا مضطهدا » (الأكراد) وقال البارزانى « ان هذه المساعدة يمكن ان تكون سياسية او انسانية او عسكرية سرية او علنية ، خفية او مكشوفة » .

وقال چيم هوجلاند ان البارزانى كشف النقاب عن انه كان سيعارض التاميم العراقى « المفاجىء » لحقول البترول فى كركوك « المملوكة للغرب » وهو التاميم الذى تحقق فى شهر يونيو عام ١٩٧٢ لو ان الحكومة العراقية استشارته فى الأمر (') ونسب المراسل الى البارزانى قوله ايضا « اننا على استعداد لكى نفعل كل ما يتفق مع السياسة الأمريكية فى هذه المنطقة إذا تولت الولايات المتحدة حمايتنا من الذئاب وإذا كان الدعم الأمريكى قويا بما فيه الكفاية ، فإننا سنتمكن من السيطرة على حقول كركوك واعطائها الى شركة امريكية لكى تديرها .. فهذه المنطقة هى منطقتنا ، والتاميم كان تصرفا موجها ضد الأكراد ! اننا عنصر مهم فى الشرق الأوسط »

وقال چيم هوجلاند :

« ان الأكراد يعارضون بفاعلية انتشار النفوذ الروسى ، وهم يجبرون معظم الجيش العراقى ـ الذى كان بالامكان لولا ذلك استخدامه ضد ايران والكويت وربما اسرائيل ـ على ان ينفق وقته وماله وموارده فى هذه الأراضى الجبلية العالية بشمال العراق »..

ويوضح هذا الحديث كيف ان القيادة الكردية كانت مستعدة دائما لتبنى مواقف « ثورية » أو « محافظة »

وانتهاج سياسة موالية للاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة وفقا لمقتضيات الحال ولاعتبارات تكتيكية محضة واتخاذ مواقف يمكن أن تتعارض مع برنامج الحركة الكردية ذاتها .. بل والتحالف مع « الشيطان » من أجل تحقيق ما تظن تلك القيادة انه يتفق مع مصالح القومية الكردية .. وقد ترتب على ذلك تصاعد الشكوك العربية تجاه العناصر التى تتصدى لقيادة الأكراد ..

وقد استثمر حزب البعث هذه المواقف البارزانية لكى يطبق سياسة فرض عقيدة وفكر وسياسات البعث على كل الساحة السياسية والدليل على تخبط العناصر البارزانية وانتهاجها لسياسة مدمرة لمصالح الحركة الكردية ما يقوله چيم هوجلاند نفسه عقب لقائه المذكور مع الزعيم الكردى :

« هناك دلائل على ان البارزانى تلقى مساعدات من اسرائيل ، ولكنه تملص وتهرب على غير عادته عندما سئل عن المساعدات الاسرائيلية ، وأخيرا قال ان هناك أشياء قد تكون صحيحة ، ولكن من الأفضل عدم التحدث عنها والجهر بها . غير ان البارزانى اعترف بأن قواته تتلقى مساعدات « سياسية » وعسكرية من ايران ولكنه رفض الدخول فى تفاصيل . غير ان البارزانى اعترف علنا بأنه سيكون مستعدا لقبول مساعدات أمريكية ترسل اليه بواسطة اسرائيل وايران ، ثم استدرك البارزانى قائلا : إذا رأى الأمريكيون هذا منطقيا .. وممكن التحقيق ، فإننى أرضى بما يريده الأمريكيون ، ولكن من الأفضل لو ان الولايات المتحدة أرسلت الينا هذه المساعدات مباشرة »

وقد ظلت علاقة البارزانى باسرائيل موضع تساؤل لسنوات طويلة من جانب قيادات داخل الحركة الكردية ذاتها .

وفى نفس الوقت فإن بعض تصريحات ومواقف البارزانى كانت تغذى الشكوك فى نزعته الانفصالية ..

ويقول جيم هوجلاند ان البارزانى يعترف بان الحلم الكردى القديم بانشاء « كردستان الكبرى » قد مات بسبب سحق الأكراد فى جميع البلدان بما فى ذلك ايران .. وهو يريد أن ينتهز فرصة الظروف فى العراق لتحقيق اطماعه بانشاء دولة كردية منفصلة بزعامته .. ويقول الزعيمان الكرديان محمد عثمان وحبيب كريم ان الأكراد اقترحوا اقامة مجلس تشريعى منتخب فى مناطقهم يكون له حق « الفيتو » (الاعتراض) المحدود على قرارات معينة تتخذها الحكومة المركزية ..

ويقرر جيم هوجلاند ، فى النهاية ، ان البارزانى لا يرى أى أمل فى موافقة بغداد على مطالبه ، ولكنه مستعد لمواصلة الحوار حتى يكسب الوقت اللازم لبناء قواته ..

• • •



• طفل كردى من ضحايا قنابل النابالم الحارقة .. التى استخدمتها قوات الحكومة العراقية أثناء مطاردة الثوار الأكراد عقب انتهاء حرب الخليج ..

مذكرة إلى البارزانى

وفى التاسع والعشرين من يناير عام ١٩٧٤ بعث الزعماء الأكراد الثلاثة . اسماعيل ملا عزيز وهاشم عقراوى ـ من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى الكردستانى ـ وعزيز عقراوى ـ عضو المكتب السياسى للحزب ـ وجميعهم تم طردهم من ذلك الحزب بمذكرة الى البارزانى تتسم باهمية خاصة لأنها تكشف ابعاد وتفاصيل الصراعات الداخلية فى الحزب الديمقراطى الكردستانى ، وفى نفس الوقت فإن هذه المذكرة توضح بطريقة غير مباشرة موقف الحكومة العراقية من القيادة الكردية وحقيقة الخلافات معها .. وهى الخلافات التى ادت بعد وقت قصير الى انهيار السلام فى شمال العراق واستئناف الحرب ..

● وهذه هى أهم نقاط المذكرة :

أولا :

لم يعد خافيا على أحد انكم لا تؤمنون بالصيغ والممارسات الحزبية الديمقراطية الشرعية رغم انكم تتربعون رسميا وفعليا على رأس الحزب ، كما انكم لم تستوعبوا مبادئه وأهدافه وتقاليده التحررية والديمقراطية والتقدمية ، وانكم لا تخفون ذلك بل تصرحون به علنا ، وغالبًا ما تعبرون عن عدم اعترافكم بالحزب والتزائكم به ، ولقد توضح للقريب والبُعيد انكم تصرون على تجميع كل السلطات والصلاحيات فى أيديكم وفى أيدى أبنائكم وقلة من الأشخاص التابعين والمنتفعين والذين لا رأى حر لهم فى آية قضية .. وقد أدى هذا الوضع الى شل الحزب وتجريده من امكانياته والى سيادة التكتلات والتجمعات المشبوهة والانتهازية فى صفوف الثورة مما يجعل كل صغيرة وكبيرة تدار بهذه الأساليب .. ومما أدى

فعلا الى سيطرة الدول والمخابرات الاجنبية على مقدرات الثورة من خلالكم ومن خلال ابنائكم ومقركم ومن خلال ثلة من الأعوان والمحاسيب المعروفين .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد . فلقد عمدتم الى تغلغل تنظيمات الـ « باراستن » - وهو جهاز استخباركم الخاص - داخل التنظيمات الحزبية خفية وخلق « الازدواجية » فيها ، وذلك بالاتصال مع العناصر الحزبية سرا وربط هذه العناصر بكم مباشرة عن طريق هذا الجهاز دون علم قياداتها الحزبية المتسلسلة وخلافا للنظام الداخلى لحزبنا الديمقراطى الكردستانى . وتوضيحا لهذه الظاهرة الخطيرة - ظاهرة الازدواجية - التى تفشت فى صفوف حزبنا نقول : لو صدر امران فى وقت واحد الى العنصر « المزدوج » امر من الحزب ، وآمر من منظمة الباراستن ، فإنه سينفذ حتما آمر المنظمة ويتمرد على حزبه او ينفذ امر الحزب ويتمرد على المنظمة وبذلك يعرض نفسه لغضبك ونقمتك ، او لا ينفذ الأمرين ، وبذلك يبقى عضوا مشلولا جامدا ..

وترتب على هذا الوضع الشاذ اضعاف حزبنا وثورتنا التحررية وتحويلها الى آلة صماء بأيديكم .. ومن خلال ذلك .. الى جهاز تابع لجهات استعمارية أجنبية يعرف الجميع مدى عدائها لشعبنا وحقوقه المشروعة ، وليعلم الكافة ان الباراستن قد تشكل على أيدى أعداء شعبنا الكردى خارج الحدود لضرب حركته التحررية الأصيلة .. فيغدق هؤلاء الأعداء مبالغ طائلة عن طريقكم على هذا الجهاز التخريبى ويقومون بتدريب عناصره القيادية ، وغرضهم من ذلك هو :

أ - القضاء على مقومات وكيان الحزب ليصبح جهاز الباراستن بديلا له فى المستقبل القريب ، وقد ظهرت بوادر

اعدادكم للخطط الرامية لأن يلعب هذا الجهاز دوره المرسوم في الانتخابات الحزبية القادمة ومؤتمرات الحزب ..

ب - افراغ الثورة الكردية من محتواها السياسى والاجتماعي للقضاء على مقومات وحقوق الشعب الكردى ، فتصبح الثورة آلة بايدى الجهات الأجنبية من خلال سياستكم والعناصر المقربة منكم

جـ - اجهاض المكاسب الوطنية والديمقراطية التى حققها الشعب العراقى عبر نضاله الشاق الطويل ..

ثانيا :

لا يستطيع كل من المكتب السياسى واللجنة المركزية الحالية للحزب ممارسة العمل الحزبى بشكل صحيح وفق نظام الحزب الداخلي ولائحته ، وذلك بسبب التدخل السافر من جانبكم والعمل دوما على تعطيل قراراتهما ، كما انكم عملتم على تعيين ولديكم (اللذين لا يؤمنان بالحزب ولا يعترفان به على الاطلاق) عضوين في المكتب السياسى ، كما قمتم بتعيين أعضاء غير منتخبين في الهيئات الحزبية القيادية الأخرى .. كل ذلك باساليب غير شرعية معروفة لدى معظم قواعد حزبنا والمشاركين في مؤتمراته ..

ثالثا :

ان مجمل سياستكم البعيدة عن روح حزبنا وثورتنا التحررية وعن أهدافها الوطنية السامية قد أدت الى تغلغل الجهات الأجنبية المعروفة بعدائها التاريخى لشعبنا ، في صفوف الحزب والثورة وسيطرتها على الكثير من الأمور الأساسية فيهما وتوجيههما توجيها يتنافى مع حقيقة مبادئنا وأهدافنا ..

« وكل ذلك يجرى تحت ستار الحصول على « المعونات » من تلك الجهات ، تلك المعونات التى تضللون بها الجماهير ، وتدّعون انها

« ضمانات من الأصدقاء » ضد اعتداءات وتجاوزات الحكومات العراقية المتعاقبة . وإذا كانت تلك الجهات حريصة على حقوق شعبنا الكردى .. فلماذا لا تمنح ملايين الأكراد الذين يعيشون تحت ظل حكمها أبسط الحقوق القومية المشروعة كاستخدام لغتهم القومية مثلا ؟

« وهذه « المعونات » تقدم لكم ، وأنتم تتصرفون بها .. فتوزعونها على انصاركم والموالين لكم وفى مجالات لا تمت الى الثورة ومصالح شعبنا الكردى بصلة ومن أجل بسط سيطرتكم ونفوذكم المطلق على أجهزة الحزب والثورة ..



ومن مصلحة الشعب أن تفسحوا له المجال ليأخذ دوره الطليعى ومكانه الطبيعى على يد قيادة جماعية منتخبة شرعيا وديمقراطيا ليقود شئون الثورة ويخضع جميع أجهزتها لمقرراته وتعليماته أى أن يكون مستقلا بتفكيره ومتمتعا بحصانته السياسية .. لا نفوذ لأعدائه عليه ..

« وانه لمن دواعى الأسى أن تسيئوا الى الأحزاب الديمقراطية الكردستانية ومنظماتها خارج العراق ، وتحاولوا خلق الانشقاقات فى صفوفها لاضعافها ، ومن ثم اخضاعها لنفوذكم ونفوذ أعداء شعبنا الكردى . فقد أمرتم بقتل المناضل الشهيد سليمان معينى الملقب بـ « كاك فائق » على يد أحد انصاركم فى منطقة السليمانية وسلمتم جثته الطاهرة إلى السلطات الايرانيةفى مدينة « خانة » الايرانية كما قضيتم على عشرات غيره من المناضلين الأكراد الذين لبوا نداء الثورة أو قمتم بتسليمهم الى تلك السلطات تنفيذا لأوامرها ولقاء ثمن بخس . كما أمرتم بقتل المناضل الدكتور شفان ورفاقه المناضلين من أكراد تركيا ، وخلقتم التكتلات داخل صفوف الأحزاب الكردية فى سوريا ولبنان ، والصقتم التهم الباطلة بالمخلصين فى الحزب والثورة دون الاستناد الى أى قانون يبرر مواقفكم .. وليس

ببعيد مصير المناضل ، فاخر ميركه سورى ، عضو اللجنة المركزية الذى اختفى باشارة منكم دون محاكمة أو تحقيق أو حتى اعلان عن التهمةالتى أسندتموها اليه . وحدث نفس الشىء لعشرات الناس فى كردستان ..

والواضح فى ضوء هذه المذكرة انه كان هناك خلاف داخل الحزب الديمقراطى الكردستانى أيضا حول طبيعة الحزب وتركيبته وهل هو « تجمع قومى » أو « فصيلة طليعية تقود الحركة التحررية الكردية ، وكان البارزانى داعية لفكرة « التجمع القومى » مما دفع خصومه داخل الحزب الى اتهامه بأنه يجرد الحزب من كافة مسئولياته السياسية والتنظيمية ويسلم مقاليده الى « شخصيات طارئة معروفة بانتهازيتها وارتباطاتها المشبوهة »

واتهم الزعماء الأكراد الثلاثة . البارزانى أيضا بالعمل بمختلف الوسائل على ابعاد « البيش مركة الأبطال » عن الانخراط فى صفوف الحزب . وقالوا ان الغاية من ذلك هى حصر نشاط الحزب وتضييق قاعدته وجعل « البيش مركة » قوة « لا عقائدية بعيدة عن السياسة » وآلة فى يد البارزانى لضرب الحزب فى أى وقت يشاء كما حدث فى عام ١٩٦٤ وما بعده ..

والواضح ان الزعماء الأكراد الثلاثة قرروا تبنى موقف حزب البعث الحاكم الذى يبدو انه لم يكن بعيدا عن تحرك هؤلاء الزعماء .. ويؤكد هذا الاستنتاج ما جاء فى نص الرسالة الموجهة الى البارزانى وخاصة فى الفقرات التالية .

« بعد صدور بيان آذار ـ مارس ـ التاريخى . والتفاف الجماهير حول حزبها الديمقراطى الكردستانى .. ساوركم الشك والخوف من

هذا الاندفاع والحماس الجماهيرى المنقطع النظير فدبرتم عدة حوادث فى بعض المناطق مثل سنجار والموصل وشيخان وعقرة وخانقين .. لابعاد مقرات الحزب عنها وحصر نشاط الحزب فى مناطق جبلية منعزلة وقريبة من مناطق نفوذكم الشخصى ليسهل املاء ارادتكم عليها وفق مشيئتكم .

وتتوالى التهم الموجهة من هؤلاء الزعماء الأكراد للبارزانى

« ربطتم مصير شعبنا بمصيركم الشخصى عن طريق معاداتكم للحزب وكل شكل من اشكال القيادة الجماعية حتى ظهرت تساؤلات كثيرة بين كل أفراد شعبنا الكردى وحول مصير ثورته وقضيته بعد مفارقتكم الحياة وحاربتم المثقفين بمختلف الوسائل وابعدتموهم عن ممارسة نشاطهم الفكرى والقومى على مستوى الحزب والثورة لأنهم عنصر أساسى فى خلق التنظيم داخل صفوفها وضمان أكيد لسيادة القانون والنظام فى المنطقة ولم تعطوا أهمية تذكر لتثقيف الجماهير ونشر الوعى القومى التقدمى بين صفوفها . واتبعتم أساليب لا مبدئية وميكيافيلية فى قيادتكم مما ادى الى خلق التكتلات والتحزبات والتبعية الفئوية والشخصية داخل الحزب . ومن الطبيعى أن يكون قادة هذه التكتلات ملزمين بالدفاع عن أتباعهم مهما اقترفوا من جرائم »



أسطورة أم شيطان .. ؟

وترجع اهمية هذه الرسالة الى انها تلقى الضوء على الظروف التى أحاطت بالقيادة البارزانية والجدل حول شخصية البارزانى نفسه الذى عاش ١٢ سنة فى المنفى وأصبح فى نظر البعض قائدا « اسطوريا » للثورة الكردية ، وفى نظر البعض الآخر شيطانا ..

وكان المعارضون له داخل الحزب يتساءلون طول الوقت : « هل يصل الأكراد الى أهدافهم القومية تحت قيادة مثل هذه العقلية .. وهذا السلوك القبلى الفئوى الذى أدى الى زعزعة ثقة الأكراد فى ثورتهم وحزبهم فى مناخ من الفوضى والاعتداءات على الأموال والأرواح والتجاوزات وانتهاك الحريات والكرامات على مشهد ومسمع من البارزانى دون أن يكون للقانون والنظام من اثر حتى أصبح الناس يتصورون ان الثورة الكردية لا تمثل إلا فئة خاصة ؟ » وقائمة الاتهام للبارزانى التى احتشد حولها خصومه تتركز على النقاط التالية :

● محاولته « باصرار » عزل قضية الشعب الكردى عن الحركة الوطنية العراقية وخاصة « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » (وكان يقف وراء هذا الاتهام جميع من استطاع حزب البعث أن يكسبهم الى صفه)

● افتعال حوادث لتعكير صفو الأمن والاستقرار ، وخاصة بعد بيان مارس بغية « تمرير مآرب الجهات الأجنبية وراء حدود العراق » ..

● احياء النظام القبلى والعشائرى والطائفى فى المجتمع الكردى عن طريق خلق اقطاعيات ومناطق نفوذ من نوع جديد وتقسيم

كردستان وتوزيعها على نفر من الجهلاء والأميين المنتفعين المعروفين بالولاء القبلي المطلق لشخص البارزاني ..

● احتضان القوى التى كانت توصف بانها « الرجعية العراقية والعناصر المعادية للوحدة الوطنية والتى عرف عنها اتصالها بالأجانب » ..

● تشجيع البارزاني لأنصاره ومؤيديه على بناء القصور الفخمة وجمع المال الحرام عن طريق التهريب وفرض الاتاوات والعقوبات المالية على المواطنين البسطاء واستغلال أموال الدولة المخصصة لأعمال البناء والاعمار فى المنطقة .. وكل ذلك بغرض ضمان انصياع هؤلاء الأنصار والمؤيدين لأوامره دون قيد أو شرط ، بينما كان الواجب القومي يحتم عليه وقف هذه التصرفات اللاقانونية والحرص على انفاق أموال الدولة على اعمار المنطقة وافراد الشعب المتضررين بالفعل من جراء حوادث الأقتتال المؤسفة ..

● تشجيع التهريب لمختلف السلع الأجنبية حتى المحرمة منها دوليا وانسانيا ، وامتداد هذه الأنشطة لتشمل تهريب المجرمين والجواسيس .. وقد أصبحت كردستان سوقا حرة أجنبية نتيجة هذا التهريب الذى استهدف تدمير اقتصاد العراق وثروته القومية ..

● محاربة كل شكل من أشكال النظام والتحريض على الخروج على سيادة القانون الى حد أصبح فيه معيار اخلاص المسئول الكردى للبارزاني هو مدى قدرته على تحدى النظام والقانون ، مما دفع المواطنين الى تكوين جماعات خاصة محلية (نوع من الميليشيات) لحماية أنفسهم وممتلكاتهم عند الضرورة ، ووقعت سلسلة من حوادث الخطف والسرقة والقتل على أيدى عناصر مقربة من البارزاني ، وكان مبررها الوحيد فى ارتكاب هذه الحوادث هو « كوردا يه تى .. » ومعناها « كل شىء فى سبيل العمل من أجل الحركة الكردية »! والنتيجة هى الفوضى وعدم الاستقرار فى كردستان ..

ومكاسب ومغانم غير مشروعة للخارجين على القانون وعرقلة تحقيق الحكم الذاتى واثارة الحساسيات والهواجس فى المنطقة وتعطيل مساعى حل مشكلات كردستان بطريقة ديمقراطية .

● جمع مبالغ طائلة من حصيلة فرض ضرائب جمركية على طول الحدود مع سوريا وتركيا وايران . والاستيلاء على اراض زراعية واسعة لمجرد ان أصحابها لا يدينون بالولاء للزعامة البارزانية الفردية .

● إهمال الاقليات القومية والدينية الأخرى المتاخية مع اكراد كردستان فى المناطق الواقعة فى اطار نفوذ البارزانى . وتعرض هذه الأقليات لمضايقات مثلما حدث للمسيحيين فى محافظتى دهوك ونينوى حيث اغتصبت أملاكهم واجبروا على ترك قراهم فى كثير من الاحيان

● وفى المحصلة النهائية .. فإنه بدلا من وضع خطة مدروسة لكيفية تطبيق بيان مارس والتمهيد للحكم الذاتى .. قام البارزانى بابعاد القادة الأكراد المسئولين عن متابعة حل القضية الكردية ، وفتح البارزانى أمامهم طريقا واحدا يستغرقون أنفسهم فى متاهاته وهو التهافت على الوظائف والمناصب والركض وراء التعويضات والمصالح الشخصية . وقد فتحت هذه السياسة الباب للوصوليين لكى يطرقوا ابواب الحزب الديمقراطى الكردستانى ويحتلوا مواقعه الامامية . مما أدى الى ابعاد « الحزبيين الحقيقيين والمخلصين » عن ممارسة نشاطهم فى الوقت الذى كانت فيه الثورة الكردية والحزب فى أشد الحاجه اليهم .



عقبات جديدة

فى تلك الأثناء . كان البارزانى يتلقى أخبارا غير سارة

وفى حديث لصحيفة « التاخى » فى ٢٠ فبراير عام ١٩٧٤ اعلن مصطفى البارزانى انه ما من شك فى ان بعض الاجراءات .. ليس من شانها ان تخدم غاية تدعيم الوحدة الوطنية ولا تساعدنا على تذليل العقبات التى تقف حائلا فى سبيل الحل السريع والحاسم . بل تخلق جوا من التوتر الذى يتيح أمام أعداء السلام والوحدة الوطنية فرصة العمل من خلاله .

ما هى هذه العقبات الجديدة ؟ وما هى الاجراءات التى تخلق جوا من التوتر ؟

يقول البارزانى .. « أخص بالذكر الأخبار المقلقة التى تصل الينا باستمرار عن نقل أعداد كبيرة من العمال الأكراد من كركوك الى خارج المحافظة وابلاغ سكان عدد من القرى فى محافظتى كركوك واربيل بضرورة ترك قراهم والهجرة منها الى مناطق أخرى دون أية مبررات مقنعة .. اننا نعتبر هذه الاجراءات ظاهرة سلبية لا تتماشى مع متطلبات توفير الأجواء الايجابية للمداولات الجارية حول الحكم الذاتى فى الوقت الحاضر .. »

غير انه رغم هذه « الاجراءات » و« العقبات الجديدة » فإن اللافت للنظر ان البارزانى حتى ذلك التاريخ (فبراير ١٩٧٤) لم يكن قد تخلى عن التاييد لبيان مارس أو نفض يده من مشروع الحكم الذاتى . فهو يؤكد فى نفس ذلك الحديث لصحيفة « التآخى » موقفه قائلا : « ان بيان مارس التاريخى كان حصيلة الارادة الخيرة لحزبى البعث العربى الاشتراكى والديمقراطى الكردستانى وكافة القوى الوطنية والعناصر الطيبة داخل العراق وخارجه »

وقال البارزانى : « انه فى هذه الأوقات بالذات ، حيث يجرى الحوار بين ممثلى الأكراد والحزب الديمقراطى الكردستانى والسلطة والقوى الوطنية ، فإننا لا ندخر جهدا من أجل وصول هذا الحوار الى نهايته بما يؤمن الخير والاستقرار لهذا البلد »

حتى ذلك الوقت .. كان البارزانى لايزال يمسك بغصن الزيتون فى يده .. ويلوح بامكانات تحقيق أمل السلام فى كردستان ، ويقول :

« اننا إذ نعبر عن طموحات المواطنين الأكراد فى وقت تفصلنا أيام قليلة عن الذكرى الرابعة لبيان مارس التاريخى .. فإنما ننظر الى هذه الطموحات كجزء متمم لطموحات الشعب العراقى كافة ، فقد كافح الشعب الكردى الى جانب شقيقه الشعب العربى فترة طويلة ، واننا نعتقد ان قضيته تلقى التفهم من جانب شقيقه الشعب العربى ، ومن العدل أن يحصل الشعب الكردى على حقوقه بعد سنين طويلة من الكفاح »



وحتى ذلك الوقت أيضا ، ورغم كل حملات قيادة حزب البعث على البارزانى ، فقد كان الرجل يتمتع بتأييد غالبية المقاتلين الأكراد ، وكان لايزال « رمزا » للكفاح الكردى . ولم يصدق العديد من الناس الاتهامات الموجهة له والتى تدور حول سياساته وتصرفاته وحول تشجيعه لعمليات افساد المحيطين به ، خاصة وان هذه الانتقادات كانت توجه من قيادات أخرى (البعث) ليست موضع ثقة الجماهير الكردية أو العربية أو من عناصر كردية منافسة تطمح الى القفز الى قيادة الحركة الكردية أو الحصول على نصيب من « كعكة السلطة التى قد يسمح لهم بها .. حزب البعث ..



قائمة مضادة

كان اسلوب حزب البعث العراقي في التعامل مع الحزب الديمقراطي الكردستاني يتسم بطابع تآمري يظهر وغير ما يبطن ويتخذ شكل التحايل ومحاولة الاحتواء واستخدام عناصر مأجورة في كردستان أو التغرير بالبسطاء عن طريق الرشاوى والمغريات المختلفة ..

ان اهم الانتقادات التي وجهها الحزب الديمقراطي الكردستاني لحزب البعث كانت تتركز حول النقاط التالية :

● تم احتكار المراكز الهامة في الدولة كلها وفي اجهزة القوات المسلحة بواسطة « البعث » فقط (وفقا لسياسة تبعيث الجيش) وإسناد كل الوظائف لاعضاء الحزب الأخير بدرجات « خاصة »[1] (تجاوزا لقوانين العاملين في الدولة) ..

● اقامة الجيش الشعبي وتزويده باسلحة وتجهيزات حكومية وأموال بحيث يخضع للحزب وليس للدولة ..

● اقامة السجون والمعتقلات الخاصة التابعة لحزب البعث في مراكز الحزب وفروعه وفي اماكن سرية ، بالاضافة الى معتقل « قصر النهاية » الرهيب حيث كانت تجرى ممارسة شتى أنواع التعذيب . (ومن بين نزلاء هذا المعتقل .. اكراد مما يسبب الحرج لقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني في التعامل مع البعث) ..

● اجراء محاكمات حزبية للمواطنين وإصدار قرارات الاعدام ضدهم وتنفيذها على شكل اغتيالات ضد العديد منهم سواء داخل العراق أو خارجه .

● تعيين كوادر البعث المتفرغة في وظائف صورية كمستشارين واعضاء في لجان ومكاتب مجلس قيادة الثورة والقيادة القومية بمرتبات ضخمة تصرف من خزينة الدولة .

● اخضاع اجهزة الدولة لسلطة الحزب ومنظماته داخل كل وزارة ودائرة حكومية وفي القوات المسلحة ..

● اتخاذ القرارات الخطيرة المتعلقة بمستقبل البلاد وإذاعتها باسم الشعب العراقي وحكومته بمعزل عن آراء الأحزاب والوزراء ورغم المشاركة الظاهرية في المسئولية باربع وزراء اكراد .. فإنهم كانوا يسمعون بتلك القرارات من محطة الاذاعة ..

---

(١) من الحقائق المعروفة أن اعضاء حزب البعث في كل الادارات والمؤسسات كانوا يتقاضون مرتبات خاصة الى جانب مرتباتهم العادية تعرف باسم « المخصصات » كذلك كان المعروف أن عضوية حزب البعث شرط لتولي وظائف معينة وشرط للترقي في العمل والحصول على علاوات مجزية .

• حصة المنطقة الشمالية (محافظات اربيل ودهوك والسليمانية وكركوك ونينوى) فى الخطة الاقتصادية للدولة فى حدود ١٧ فى المائة قابلة للزيادة ٢ فى المائة أخرى فقط ، بينما نسبة سكان المحافظات الخمس من مجموع سكان البلاد ٢٥ فى المائة ، ومغنى ذلك ان يصبح التخلف ملازما لكردستان .

• امتناع الحزب الديمقراطى الكردستانى عن تقديم مرشح لمنصب احد نواب رئيس الجمهورية يرجع الى ان الصلاحيات والسلطة التى ستمنح لمرشحه لن تكون بالشكل الذى يمكنه من ملء هذا المركز الحساس .

• السلطة التشريعية القائمة هى مجلس قيادة الثورة الذى لا يشارك فيه الأكراد ، مما يعنى حرمان القومية الكردية من أهم ركن من اركان المشاركة فى الحكم .

• المعتقلون فى سجون الحزب الديمقراطى الكردستانى هم الذين قاموا بعمليات تخريب وتفجير قنابل وتامروا على حياة قادة الحزب ..

• اقتراح البعث بتحديد المنطقة الكردية عن طريق توحيد الوحدات الادارية التى يقطنها الأكراد .. ينطوى على تقليص المنطقة الكردية الى ادنى حد تحت ستار التوحيد ..



• ام كردية تبكي طفلها الذى فوجئت به ميتا بين ذراعيها .. بعد ان عجز عن تحمل المسيرة الى المجهول وسط اقسى ظروف الطبيعة وتحت القنابل .. واحيانا اسلحة الدمار الشامل ..

وكانت وجهة نظر « البعث » العراقي ان البارزاني تمكن في اعقاب صدور بيان اذار ، وفي ظل الظروف التي خلقته من شل نشاط جميع خصومه السياسيين في المجتمع الكردي وإسكاتهم بحيث اصبح هو و « المرتزقة » الموالين له .. هم القوة الوحيدة التي يعتد بها في كردستان العراق ، وخاصة بعد ان أحكم قبضته على العديد من المناطق

وكان هناك من يرى أن البارزاني تعمد خلال السنوات الأربع التي اعقبت صدور بيان اذار (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤) إبقاء المناخ السياسي والوضع العام في كردستان وعلاقته بالسلطة في بغداد . في حالة من الاضطراب تتراوح بين علاقة الهدوء والتقارب . وبين التوتر الشديد وتحول البارزاني . في راى مسئولي الحكم في بغداد الى « ديكتاتور كردستان العراق الاوحد » . واصبحت مصائر الناس معلقة بإشارة من يده ، ورغم وجود تكتلات سياسية ديمقراطية تعارض سياسته . إلا انها اضطرت الى وقف نشاطها العلني تمشيا مع رغبة حزب البعث في مهادنة البارزاني بعد حربه التي استمرت منذ عام ١٩٦١ وأصبح اسم الحزب لا يجيء على لسان « خدم وحاشية بلاط إمارة البارزاني » إلا من خلال عبارة الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة البارزاني » .

وجاء وقت أصبح فيه من المتعذر تواجد قوة مضادة للبارزاني في كردستان يكون لها وزن ملموس ..

فقد احتفظ بكامل تشكيلاته العسكرية (البيش حركة) وجعل قسما منها حرسا للحدود تتلقى منه الأوامر .. وليس من وزارة الداخلية (كما كان متفقا عليه) ..

وسيطر البارزاني على مراكز المحافظات والاقضية عن طريق تعيين المحافظين وسائر الموظفين من العناصر التابعة له . ونجح البارزاني في اقناع قطاعات واسعة من مواطنيه بان اى تعاون مع الحكومة يعنى اتخاذ موقف العداء للحركة الكردية وحقوق الأكراد القومية ..

وبدأ حزب البعث العمل على أساس أن تدعيم الجبهة الداخلية في العراق لابد أن يمر عبر « انتشال » الحركة الكردية و « انتزاعها » من براثن البارزاني .



● الأكراد يريدون التآخى مع العرب .. واعتبروا قانون الحكم الذاتى فى أوائل السبعينات وثيقة بالغة الأهمية تنص لأول مرة منذ معاهدة سيفر على الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردى غير ان الصدام بين حزب البعث والحزب الديمقراطى الكردستانى (اكبر الأحزاب القومية العاملة فى الحركة الوطنية الكردية ، والذى قاد الحركة المسلحة خلال السنوات السابقة (١٩٦١ ـ ١٩٧٠) لم يكن حول حل القضية الكردية فى اطار وطن واحد تعيش فيه اكثر من قومية .. وإنما بسبب الاصرار على احتكار العمل السياسى وفرض وصاية حزب البعث على الحركة الكردية كجزء من الوصاية على الشعب العراقى بوجه عام .. وبسبب أخطاء وانحرافات قيادة الحركة الكردية ..



● الفصل التاسع ●

.. وانهيار الحكم الذاتى !

فى الحادى عشر من مارس عام ١٩٧٤ اقر مجلس قيادة الثورة العراقى قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان .. وانتهت مدة الخمسة عشر يوما التى حددتها « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » لدعوة قيادة الحزب الديمقراطى الكردستانى لقبول قانون الحكم الذاتى والانخراط فى الجبهة الوطنية والعمل الى جانب حزب البعث والحزب الشيوعى ..

واتضح ان مشكلة الحدود الادارية كانت أبرز نقاط الخلاف مع الحزب الديمقراطى الكردستانى ..



كان هناك نزاع حول « التشخيص القومى » لبعض المناطق . وهو أمر طبيعى فى بلاد سكنتها اقوام عديدة عبر عصور التاريخ وتوالت على حكمها والاقامة فيها أمم متباينة ..

والصخرة التى تحطمت عليها كل محاولات الوصول الى اتفاق هى .. كركوك ..

فقد رأى الحزب الديمقراطى الكردستانى ضرورة الحاق كركوك بمنطقة الحكم الذاتى لاعتبارات تاريخية وقومية . ولكن الحكومة وحليفها الشيوعى طرحا ثلاثة حلول لمشكلة الحدود الادارية فى كركوك والمناطق المختلف عليها :

الأول : اجراء احصاء عام ..

الثانى : اعتماد احصاء عام ١٩٥٧ لتحديد الطبيعة القومية لهذه المناطق باعتبار ان هذا الاحصاء جرى قبل وقوع الاضطرابات فيها ..

الثالث : اقامة ادارة مختلطة من القوميات التى تسكن المنطقة على أن ترتبط بالحكم المركزى ..

وانتهت ما كانت تسمى فى العراق فى ذلك الوقت « أول تجربة فى العالم الثالث خارج الدول الاشتراكية فى معالجة المسألة القومية » وكانت هذه المسألة مطروحة بلا حل على « الفكر الثورى العربى »... الى أن جاء « مفكرو الحزب القائد » الواحد وقدموا لها الحل العلمى ..

وجاء الوقت الذى يعربد فيه المتشددون والمتطرفون من الجانبين العربى والكردى .

هؤلاء الذين ينكرون وجود القومية الكردية ويعملون على صهرها ودمجها ويعتبرون الشعب الكردى مقيما فى أرض ليست أرضه ويروجون لفكرة حتمية سحق الحركة الكردية بقوة السلاح باعتبارها بؤرة للخطر على بقاء السلطة المركزية .. و« يبشرون » بان

ايام القتال آتية كقدر محتوم ولا مناص من الاحتكام للسلاح .

وفى المعسكر الآخر كان يوجد دائما هؤلاء الذين يؤكدون ان الآمال المعلقة على حل المسالة الكردية حلا سلميا ديمقراطيا هى مجرد اوهام صنعتها الخديعة والمناورة من جانب الطرف الآخر .. والرغبة فى كسب الوقت ..

وكل هذه القوى داخل المعسكرين اضطرت الى احناء هاماتها مؤقتا أمام موجة التاييد التى قوبل بها بيان « مارس ١٩٧٠ فى اول الامر ثم سرعان ما عادت الى مزاولة نشاطها التخريبى ..



● الجبال الكردية .. حتى فى الشتاء ، وحتى فى حالة الحرب .. رائعة الجمال .. انها أرض المجارى المائية الفضية والفيروزية .. وعلى ضفاف المجارى أشجار السنديان والحور ..

اثنان من رجال « البيش حركة » ـ المقاتلون فى الميليشيا الكردية المسلحة ـ يقفان لحراسة مواقعها فى الجبل .. فى مواجهة الخطر الدائم .. فى ممرات جبلية سرية تؤدى إلى مناطق كركوك واربيل والسليمانية ..

مركزية مطلقة

المركزية المطلقة كانت تحكم الأحزاب الثلاثة التى قررت مصير الحكم الذاتى للشعب الكردى : حزب البعث والحزب الشيوعى والحزب الديمقراطى الكردستانى ..

وفيما يتعلق بالحزب الأخير فإن الكثيرين كانوا يرون ان برنامجه السياسى وبنيته الاجتماعية قد تغيرا عبر السنين ، وأصبح الحزب أكثر اعتمادا على العشائرية لأنها وسيلة أسرع فى عمليات التجمع وفى الطاعة فى مجتمع متخلف . وبسبب ما وصلت اليه أحوال الحزب انشقت جماعة ابراهيم أحمد وجلال طالبانى فى سنة ١٩٦٤ على البارزانى وانضمت أكثر الكوادر السياسية التى تتمتع بمستوى فكرى وقدرة تنظيمية الى جناح طالبانى وابراهيم أحمد ، ولكن البارزانى استمر بالحزب لأن وجوده يشكل فائدة بالنسبة لسياساته رغم ان الحزب لا يعنيه فى واقع الأمر .. وأدى ذلك الى تفريغ الحزب من محتواه بدرجة كبيرة وأصبح ، هو نفسه ، الشخصية الطاغية فى الحزب ، يفرض من يراه على اللجنة المركزية والمكتب السياسى ، ويسند الى أى شخص يختاره المسئوليات المختلفة ، وهكذا اضمحل تكوين الحزب فكريا وبنائيا وكعلاقات ونظام قيادة . وكان البارزانى يستفيد من فترات القتال حتى لا يجعل للحزب دورا سوى الدور الاسمى الشكلى لأن الدور الأساسى فى تلك الفترات كان دور المقاتلين ، وهم فى الأغلب غير حزبيين ، ويعتمدون على العشائر فى أغلب الأحوال .. ولذلك فإن البارزانى ظل يعتمد صيغة البارزانيين ، وهم أبناء عشيرته ، ويوزعهم على المواقع المقاتلة من أجل السيطرة على مجريات الأمور ..

فالمقاتل العشائرى يحمل ولاء مطلقا لقائده البارزانى ، وأعضاء الأحزاب الأخرى لا يناقشون أمور « السياسة العليا » ومهمتهم

الرئيسية هى حشد الأنصار فى المهرجانات والتعبئة فى الاجتماعات وترديد الهتافات ..

أما العناصر الكردية التى اختارها البعث لضرب قيادة البارزانى ولتلميع صورتها ، فقد كانت أتفه العناصر .. وكان الدافع الوحيد وراء تحركها واعلان تاييدها للبعث الحاكم هو السعى وراء مكاسب شخصية ومغانم مضمونة واقتناص المواقع والمناصب .

ولم يكن هناك فى العراق مجال لاجتهادات شخصية أو فكر حر أو ابداع سياسى .. فقد أصبحت التيارات السائدة على الساحة موضوعة كلها فى قوالب .. ومواقف كل تيار معروفة مقدما ..

ولم يكن هناك تقدير للمسئولية من أى طرف فيما يتعلق بمستقبل العراق ومصالح الشعب الكردى ..

كان لابد من انفجار القتال مرة أخرى بين حكومة البعث فى العراق والثوار الأكراد عقب انهيار مشروع الحكم الذاتى ..

وجاء وقت شعرت فيه الحكومة العراقية بأن حرب الشمال المستمرة تستنزف طاقتها وانها يمكن أن تظل مشتعلة الى ما لا نهاية ..



وكان هذا الاستنزاف وراء تحرك صدام حسين لتوقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ مع شاه ايران لتقديم تنازلات تتعلق بالسيادة العراقية فى شط العرب مقابل وقف المساعدات الايرانية لأكراد العراق ..

وفوجىء العالم العربى بهذه الاتفاقية فى وقت كانت فيه الاذاعة الايرانية تعلن عن عمليات جنود الصاعقة الايرانيين وتشيد ببطولتهم فى ظفار وتتفاخر بأنه تم تأديب العصاة وادخالهم الكهوف ..

بل ان توقيع الاتفاقية تم بعد أسابيع قليلة من سلسلة اعتداءات ايرانية على الأراضى العراقية ..

وحدث ما كان متوقعا أن يحدث فى يوم من الأيام .. فقد توقفت ايران والولايات المتحدة عن مساندة الأكراد فى منتصف السبعينات . ولم تكن تلك المساندة نتيجة قناعة واشنطن وطهران بقضية الحقوق القومية للشعب الكردى وانما كان الهدف هو استنزاف العراق الذى تم تصنيفه فى ذلك الوقت على انه موال للاتحاد السوفيتى ..

وتوجه مصطفى البارزانى الى الولايات المتحدة ليعيش هناك أيامه الأخيرة حتى مات فى منفاه الاختيارى ..

واستأنفت القيادة الايرانية الجديدة بعد سقوط الشاه .. مساندة اكراد العراق بعد اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية وتمزيق حكام العراق لاتفاقية الجزائر ..

ومرة أخرى تتأكد نظرة الايرانيين للأكراد باعتبارهم « أداة الضغط على الحكم فى بغداد ».. ورغم محاولات الحكومة العراقية تنفيذ الحكم الذاتى من جانب واحد إلا أن الأوضاع فى كردستان ظلت متوترة .. وحوادث العنف لا تنقطع .. وواصل نظام الحكم العراقى محاولاته لمحو الشخصية الكردية عن طريق تدمير واخلاء العديد من القرى التى يعيش فيها الأكراد والسعى الى تغيير معالم المنطقة الكردية حتى ان نحو ٢ مليون كردى كانوا يعيشون فى مخيمات .. وظل دخول المنطقة الكردية فى العراق محظورا على الصحافة الأجنبية لسنوات طويلة ، خاصة ان الحكومة العراقية أعلنت ان مسعود البارزانى (خليفة الملا مصطفى فى زعامة الحزب الديمقراطى الكردستانى) يساند ايران خلال الحرب العراقية ـ الايرانية ..

وتقول المصادر الكردية ان ٢٠٠ ألف كردى لقوا مصرعهم منذ عام ١٩٦٨ كما جرى تدمير كل القرى التى يعيشون فيها ..

وعند بدء الحرب العراقية الايرانية ، عرض الأكراد الايرانيون على الحكومة المركزية فى طهران وقف القتال بين الثوار الأكراد والقوات الحكومية الايرانية ، الامر الذى يوفر على ايران مجهودا حربيا يقدر بعدة فرق نظامية كاملة التسليح بالاضافة الى أربعين الف رجل من « الحرس الثورى الايرانى » واشتمل العرض الكردى الايرانى على ارسال كتائب الأكراد للاشتراك فى المعارك الدائرة فى اقليم « خوزستان » الايرانى جنبا الى جنب مع سائر الايرانيين ضد القوات العراقية .. وكل ما طلبه الأكراد الايرانيون مقابل ذلك هو منح الأكراد الايرانيين الحكم الذاتى الذى كانوا يحاربون من أجله قبل اثنتى عشرة سنة من بدء الحرب العراقية ـ الايرانية ..

وكان الرد الوحيد الذى تلقاه الأكراد الايرانيون من حكومة طهران على هذا العرض هو ارسال طائرات « الفانتوم » الأمريكية الصنع لقصف المدن الكردية ..

وفى نفس الوقت الذى كان فيه نظام الحكم العراقى « يحاور » الأكراد بالرصاص وأسلحة الابادة .. تقدم بمعونات الى الأكراد الايرانيين خلال الحرب العراقية ـ الايرانية !



فخ فى فيينـــا

فى مساء يوم ١٣ يوليو ١٩٨٩ ، اقتحم مسلحون مجهولون شقة فى فيينا حيث كان يعقد اجتماع سرى يضم الدكتور « عبدالرحمن قاسملو » الأمين العام للحزب الديمقراطى الكردستانى (فى ايران) ونائبه « عبدالله قادرى آذار » والمفكر السياسى الكردى العراقى الأصل « فاضل رسول » . كما يضم ثلاثة دبلوماسيين ايرانيين . وفتح المسلحون النار .. وسقط قاسملو ونائبه وفاضل رسول .. صرعى . وأصيب دبلوماسى ايرانى بجراح طفيفة . واختفى الدبلوماسيان الاخران . وتردد أن قاسملو كان يتفاوض لترتيب عودته من المنفى الى ايران . وقيل ان مسئولين ايرانيين استدرجوا « قاسملو » الى فخ فى فيينا بعد ايهامه بأنهم على استعداد لاجراء مفاوضات لايجاد حل سلمى للمشكلة الكردية فى ايران . وأعلن الحزب الديمقراطى الكردستانى فى ايران ان النظام الحاكم فى طهران هو المسئول عن اغتيال قاسملو ورفيقيه . وأعلن حكام ايران أن السلطات العراقية وراء اغتياله !

وكان قاسملو ، المناضل القديم فى الحركة الكردية الايرانية ، قد اضطر فى عهد الشاه الى مغادرة بلاده . واضطر حزبه الى الاشتباك فى معارك مسلحة طوال الثمانينات ـ بعد تولى الخومينى السلطة ـ مع « حراس الثورة » والجيش النظامى الايرانى دفاعا عن شعبه ..

وذات يوم ، قال أحد المسئولين الايرانيين : « ان طهران ستبحث بكل اهتمام طلب اكراد العراق وسوريا بالاتحاد مع ايران اذا تقدموا بمثل هذا الطلب » !!

والمعروف أن تركيا وايران تضمان ٧٧ فى المائة من مجموع سكان كردستان الكبير ، وهما لا تعترفان بالقومية الكردية !

وفى مناسبات عديدة نفى الزعيم الكردى الايرانى قاسملو أن يكون الحكم الذاتى الذى يطالب به الأكراد الايرانيون نوعا من الاستقلال أو الانفصال .. فهم يوافقون على البقاء فى اطار الدولة الإيرانية وأن تظل الشئون الخارجية والعسكرية والنظام النقدى من اختصاص الحكومة المركزية . وكل المطلوب هو حكومة اقليمية ينتخبها الأكراد بانفسهم . وعقب اغتيال قاسملو قال « برنار كوشنر » وزير الشئون الانسانية الفرنسى ان الذين قتلوه « كانوا يخشون رسالة السلام التى يبشر بها » ..

قاسملو واحد من المناضلين من أجل حقوق الانسان ولذلك لم يرد أعداؤه (الذين يوجدون حتى فى داخل حزبه) أن يلعب هذا الديمقراطى المثقف المستنير .. أى دور فى ايران الغد ..

● الفصل العاشر ●

.. وأخيرا ..
يبقى الحلم .. !

ما أن انتهت مغامرة الغزو العراقى للكويت بالفشل .. واتضحت معالم وأبعاد الكارثة التى لحقت بالعراق .. وخرجت نداءات ملحة من أماكن مختلفة من العالم تدعو كل من يعيش على أرض العراق الى الثورة واسقاط نظام الحكم فى بغداد .. حتى استجاب الأكراد لهذه النداءات ..



وفى السابع من مارس ١٩٩١ اندلعت حركة الأكراد فى مدينة صغيرة ثم امتدت حتى شملت كافة المدن والمناطق الكردية . وسيطر الأكراد على كردستان . غير ان هذه السيطرة لم تستمر طويلا .. والعالم الذى دعاهم الى الثورة تخلى عنهم .

وتحركت آلة الحرب العراقية لتسحق الثوار .. ونزح اكثر من مليونى كردى فى اتجاه تركيا شمالا وايران شرقا هربا من عنف اضطهاد السلطة المركزية فى بغداد وخوفا من عملياتها الانتقامية التى قد تستخدم خلالها كل انواع الأسلحة ..

وظهرت مشكلة اللاجئين الأكراد ..

ومرة اخرى .. تستخدم الدول الأجنبية المشكلة الكردية كذريعة لاحتلال مساحات من شمال العراق .. ويبدو أن المطلوب خارجيا ـ من الأكراد هو المساهمة فى اسقاط نظام الحكم فى بغداد .. وليس تقديم حل نهائى للمشكلة الكردية ..

غير ان الأحداث الأخيرة طرحت لأول مرة منذ سنوات بعيدة ـ وبقوة ـ القضية الكردية على العالم .. بعد أن كان الأكراد فى عداد الشعوب المنسية .. والدليل على ذلك ان البرلمان التركى اقر فى ١٢ ابريل ١٩٩١ (لأول مرة فى تاريخ تركيا) رفع الحظر عن تعليم اللغة الكردية لأكراد تركيا ..

وهناك ظواهر أخرى تسترعى الانتباه ، هذه المرة ، فى تطور الأحداث الكردية ..

● المفاوضات التى أجراها مؤخرا مسعود البارزانى وجلال طالبانى فى بغداد لتنفيذ الحكم الذاتى ..

هل يعنى ذلك ان القيادات الكردية لم تعد تراهن على العنصر الأجنبى بل تعتمد على نفسها فقط وتوجه حركتها وفقا لتقديراتها الخاصة مع استثمار المناخ العالمى المتعاطف مع الأكراد ؟

● اعلان العراق يوم ٢٥ ابريل ١٩٩١ التزامه بتطبيق اتفاقية عام ١٩٧٠ بشأن الحكم الذاتى للأكراد .. وما تردد حول « تنازلات عراقية » تتعلق بالحقوق الكردية .. واطلاق الحريات للشعب العراقى كله واقامة حكومة ديمقراطية تجرى انتخابات خلال شهور .. ثم ما جاء على لسان جلال طالبانى حول استعداد حكومة بغداد لالغاء مجلس قيادة الثورة العراقى ..

هل يعنى ذلك أن حكومة بغداد تحنى رأسها للعواصف التى تهب بشدة الآن وتهدد باقتلاعها من جذورها ، لكى تعود الى سابق سياستها بعد مرور هذه العواصف ؟

مما لا شك فيه ان حكومة بغداد فى مأزق بعد أن انكشفت كوارث النظام الديكتاتورى وآثاره الفادحة والمدمرة ..

غير انه بدون ضغط شعبى ـ عربى وكردى لن تنتزع الديمقراطية من أنياب النظام الحاكم ..

وتصر حكومة بغداد على ان استثمار الثروات الطبيعية ، ومنها البترول ، هو مهمة الحكومة المركزية .. وسوف تراوغ فى قضية الديمقراطية .. لأن اقامة حكم ديمقراطى حقيقى فى العراق يعنى نهاية الحزب الحاكم ..

ولكن الملاحظ ان القيادات الكردية اصبحت أكثر نضجا مما كانت عليه فى الماضى ..

وها هى لجنة العمل المشترك التى تمثل المعارضة العراقية الفاعلة والأساسية والمنظمة تضم عربا وأكرادا .. وسنة وشيعة ، و .. علمانيين واسلاميين ومسيحيين .. واشتراكيين وليبراليين ..

.. فالجميع ، رغم الخلافات ، يستهدفون اقامة الديمقراطية فى العراق ..



وفى نفس الوقت .. عاد جلال طالبانى يكرر ما سبق ان قاله (ولم يطبقه) مصطفى البارزاني :

« الحلم يظل ويبقى حلما .. يجب أن نكون واقعيين .. فالآن ونحن فى الظروف الدولية الراهنة ، لن يمكننا تغيير خريطة الشرق الأوسط ، ولا يمكننا تغيير خريطة خمس دول ، لذلك فإن هدف توحيد كردستان ـ رغم مشروعيته ـ ليس هدفا واقعيا .. فالوحدة العربية ـ وهى حق من حقوق الأمة العربية أصبح تحقيقها صعبا للغاية رغم وجود ٢٢ دولة عربية ، فكيف بالشعب الكردى المحروم من أبسط الحقوق ان ينال وحدته كشعب واحد ؟ وإذا اتجه النضال الكردى الى أهداف مستحيلة .. فإن الناتج سيكون صفرا .. »

وكان الدكتور عبدالرحمن قاسملو الزعيم الكردى الايرانى يقول :

« ان الدول الكبرى معنية ببيع الأسلحة للمنطقة وشراء البترول .. وليس لدى الأكراد ما يشترون به الأسلحة ، كما انهم لا يستطيعون التصرف فى موارد التبرول .. ولذلك ليست لنا قيمة ولا يحسب لنا حساب »!



وكان قاسملو ، الذى اغتيل على أيدى مسلحين مجهولين داخل شقة فى فيينا يوم ١٣ يوليو عام ١٩٨٩ ، يرى استحالة الحل العسكرى للمسألة الكردية .. وكان يقول ان العالم لا يهتم بالأكراد لأنهم لا يأخذون رهائن ويقتلونهم ولا يخطفون الطائرات !

أما اتحاد الأكراد فى وطن واحد فهو حلم لايزال يداعب الخيال .. ويتساءل قاسملو :

« أليس غريبا أن يتمزق شعب يصل تعداده الى حوالى عشرين مليونا ويظل محروما من هويته القومية وحقه فى تقرير المصير ؟ الشىء الوحيد الذى نتمناه هو الاستقلال الذاتى حتى تسود الديمقراطية فى بلادنا ..»

غير ان الحكم الذاتى لن يتحقق قبل أن تسود الديمقراطية الحقيقية سواء فى ايران او العراق .. وربما كان هذا هو أهم درس تعلمه الأكراد حتى الآن انه لا مكان للاعتراف بحقوقهم القومية وممارستها إلا فى مجتمع ديمقراطى مستنير يقدس الحرية الكاملة للقوميات والأعراق والأديان والأجناس والثقافات ..

والى أن يحدث ذلك فستظل كردستان توارى ضحاياها تحت الجليد ..

حصان طروادة !

الأكراد يرون أنفسهم ضحايا التاريخ وضحايا لزعمائهم ايضا

فمنذ الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ تركز الاهتمام الرئيسى للغرب على احتواء الاتحاد السوفيتى . ولهذا الغرض ، تم ابرام معاهدات وإقامة تحالفات عديدة تحت رعاية الغرب عبر السنين وعندما اقامت دول غرب آسيا الواقعة على الحدود السوفيتية - وفى مقدمتها تركيا - احلافا عسكرية تشمل فى الأغلب العراق وإيران (الحل المركزى) . اعتبر الغرب أن المسألة الكردية « قضية داخلية » يجرى التعامل معها بالطريقة التى يراها اتباع الغرب فى الشرق الأوسط .. ملائمة واصبحت الدول التى تضم الأكراد ، وتفرض وصايتها عليهم .. تنظر اليهم على انهم « حصان طروادة » فهم عبارة عن « ثغرة » تتسلل منها قوى خارجية لتقويض دعائم الدولة وهدمها من الداخل ! وفى نفس الوقت فإن الدول التى يوجد فيها أكراد تمارس عمليات القمع ضدهم فى الداخل بينما تستخدمهم ضد الجيران فى الخارج ! ليظلوا على هذا النحو ، أدوات لتحقيق أغراض حكام الدول التى يعيشون على أرضها ..

استخدمهم شاه ايران ضد السلطة فى العراق ، واستخدمتهم بغداد ضد الشاه ثم ضد الخومينى عقب سقوط الشاه ، واستخدمهم الأمريكيون والاسرائيليون ضد الحكم فى العراق حتى عام ١٩٧٥ ، واستخدمهم الأتراك ضد العراقيين ، واستخدمتهم بغداد وطهران فى وقت واحد ضد الأخرى خلال الحرب العراقية - الايرانية ، واستخدمهم العالم لاسقاط نظام الحكم العراقى عقب فشل الغزو العراقى للكويت .

وكتب جيم هوجلاند فى شهر مارس عام ١٩٩١ فى « واشنطن بوست » يقول : « قبل ستة عشر عاما شاهدت رجال القبائل الأكراد الخائفين ، وهم يخوضون فى طرق كردستان الموحلة هربا من الجيش العراقى .. والان تزدحم نفس هذه الطرقات مرة اخرى بقوافل اللاجئين الأكراد التعساء » .



وكانت بداية الفصل قبل الأخير من المأساة الكردية فى تمام الساعة الثانية عشرة من يوم ١١ مارس عام ١٩٧٤ عندما تم إعلان قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان ، واعطيت مهلة مدتها اسبوعان لممثلى الحزب الديمقراطى الكردستانى للانضمام الى « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » والالتزام بقانون الحكم الذاتى ومضى الاسبوعان .. وشهور .. ولم يصل الرد .. فقد كان رجال البارزانى يعتصمون بالجبال ويقاتلون ومن ورائهم الحدود المفتوحة مع ايران .. حتى مارس عام ١٩٧٥ عندما تم توقيع اتفاقية الجزائر واغلق طريق المساعدات التى كانت تصل الى قوات البارزانى ، وتمت السيطرة على الحدود . ورفضت الولايات المتحدة ـ بدورها ـ تقديم المساعدة للأكراد بعد ان ساندت موقف الشاه فى امتناعه عن تقديم الدعم لهؤلاء الاكراد .



وبعد توقيع اتفاقية الجزائر ناشدت قيادات كردية .. الولايات المتحدة التدخل لحمايتهم فى مواجهة الجيش العراقى الذى كان يحاصر تحصيناتهم .. وتجاهلت ادارة الرئيس الأمريكى جيرالد فورد نداءاتهم ..

وبعد تجربة عام ١٩٧٥ ، لم يتوقع الاكراد شيئا من العالم الخارجي في الوقت الذي تشبثوا فيه برفض محاولات « الصهر والدمج والتمييز العنصري » ضد الشعب الكردي . غير انه من الواضح ان القيادة الكردية كانت تخطط على اساس ان زحفها لمسافات طويلة خارج المناطق الكردية باتجاه المدن الكبرى بعد انتهاء حرب الخليج عام ١٩٩١ يعتمد على دعم من قوات التحالف الدولي او على الاقل يعتمد على وضع قيود من جانب التحالف الدولي على حركة ، وحرية الجيش العراقي في استخدام عناصر قواته غير ان العرب - بالتحديد - يجب الا يدفعوا الأكراد للتطلع الى العالم الخارجي ليساعدهم . بل ان مهمة معاونة الاكراد المهجرين وإغاثتهم يجب ان تكون مهمة عربية في المحل الاول .. مما يضمن المحافظة على وحدة أراضي العراق ، وخاصة بعد ان كشفت المنظمة الصهيونية العالمية « استراتيجية اسرائيل في الثمانينات » والتي تضمنت خطة لتفتيت الوطن العربي ..



اخطـــاء الماضـــى

والسياسة الصحيحة تجاه المسألة الكردية يجب ان تستفيد من دروس اخطاء الماضي ..

ولا يمكن انكار ان بعض القرارات الايجابية في مجال منح الشعب الكردي حقوقه القومية لم يكن وراءها الحرص على اقرار هذه الحقوق بقدر ما كانت تستهدف تعزيز المواقع السياسية لجماعة كردية معادية للحزب الديمقراطي الكردستاني وعزله سياسيا ..

ولا يمكن التغاضي عن وجود خطط لاجلاء وترحيل اكراد من قراهم الجبلية الى سهول الجنوب ليعيشوا وسط السكان العرب ويذوبوا في داخلهم وإحلال

غيرهم من العرب مكانهم حتى تصبح المنطقة الكردية خليطا من قوميات عدة على المدى الطويل ..

من هنا تم إقرار وإصدار قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان يوم ١٩ مارس عام ١٩٧٤ وسط أجواء الحذر والشك المتبادل وانعدام الثقة بين الجانبين العربى والكردى . ولم يضع الجانب العربى فى حسابه الظروف الاستثنائية التى مرت بها المنطقة الكردية خلال السنوات السابقة وما ولدته من حزازات .

وإنصافا لحركة التحرر العربى فإنه لابد من التنويه بان الحركة القومية الكردية حققت نموا فى العراق أكثر مما فعلت فى ايران وتركيا بسبب التطور الخاص بالشعب الكردى فى العراق من ناحية وبسبب وجود حركة وطنية نشطة ومتقدمة فى العراق والأجزاء الأخرى من الوطن العربى من ناحية ثانية . وقد استطاعت هذه الحركة الوطنية أن تزلزل مواقع النظام الاستعمارى وأن تتمكن من اقتلاعه من مناطق هامة .

ولايزال ما ورد فى مذكرة الحزب الديمقراطى الكردستانى فى ٥ سبتمبر عام ١٩٥٨ الى الحكومة العراقية صحيحا تماما ..

« ان فصل كردستان عن الجمهورية العراقية الفتية عمل مضاد لمصالح الشعبين العربى والكردى بصورة اساسية ويخدم الاستعمار ويقوى مركزه ليس فى العراق فحسب ، بل وفى جميع أقطار الشرقين الأدنى والأوسط أيضا ويؤدى بصورة مباشرة الى إضعاف حركة تحرير شعوب هذه المنطقة بأسرها بما فيها الشعب الكردى » .

والقومية العربية يجب أن تتيح لكل قومية فى الوطن العربى الكبير أن تتنفس وتزدهر وتتحرك بإرادتها وتمارس حقوقها كاملة .. لأن القومية العربية ليست عنصرية أو طائفية أو عدوانية أو ضيقة الأفق .. بل انسانية ولا تضطهد الشعوب الأخرى ، فالعرب يجب أن ينظروا الى أنفسهم والى غيرهم بنفس النظرة وأن يعملوا على صيانة القوميات الأخرى من العبث والتمزق والتشتت .. فالمؤمن بقوميته لابد أن يحترم قوميات الاخرين .. وهذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على تلك القوميات فى اطار وحدة التراب الوطنى وضمن كيان الدولة الواحدة . كما انه ، فى هذه الحالة ، يمكن أن يكون تعدد القوميات والأعراق والأديان .. عامل قوة وليس عامل ضعف .. ومصدرا للخصوبة والثراء الفكرى وتنوع الثقافات ..

والقومية العربية يجب أن تكون حركة مناهضة للنعرات القبلية والغطرسة الاقليمية والتعصب الطائفى والعنجهية العشائرية ..

ونضال الأكراد ينبغى أن يتجه .. لا ضد العرب بل ضد العدو المشترك للعرب والأكراد ..

غير أن الحكم في العراق اهدر فرص حل المسألة الكردية لأنه لم يكن ممثلا للقواعد الشعبية ، وكذلك فإن مجموعة البارزاني لم تكن ممثلة للقطاعات المستنيرة من الشعب الكردي ..

والمفترض أن القضية الكردية ليست مجرد مشكلة بين حكم عراقي وأكراد محاربين ، وإنما هي قضية الشعبين العراقي والكردي ..

وإذا لم يكن المواطنون العراقيون متساوين في الحقوق امام القانون .. فكيف يتساوى العرب والأكراد ..

وقبل الحديث عن حق تقرير المصير للشعب الكردي ، فإن الشعب العراقي في حاجة الى ممارسة نفس الحق ..

ولذلك يرتبط مستقبل المسألة الكردية بمستقبل النضال الشعبي العراقي من أجل القرار الوطني المستقل وإقامة نظام ديمقراطي حقيقي على أساس التعددية السياسية والحكم الدستوري البرلماني ..

ولن تذهب سدى الدماء السخية التي روت أرض كردستان والعراق على السواء ..



● جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي يتحدث مع لاجيء كردي خلال زيارة سريعة لأحد مخيمات اللاجئين الأكراد على الحدود العراقية حيث كان يقيم عشرات الآلاف من اللاجئين الخائفين من انتقام السلطات العراقية في الثامن من ابريل ١٩٩١ ..

عدد من الرحالة الغربيين هم الذين سجلوا في يومياتهم ان الأكراد هم « أشد البشر توحشا » . الآن يتضح انهم أشد البشر تعاسة ..!



● مواطن كردى يحمل طفله على ظهره .. وآثار الدموع فى عينى الطفل .. والأب .. لا يعرف الى اين يذهب .. بعد أن ترك وراءه الوطن والبيت لكى يعيش حياة اللاجئين .. وأحيانا يجد الحدود امامه مغلقة .. ولا مكان إلا .. الجبال !

● شخصيات كردية



● عباس محمود العقاد



● ابن خلدون



● محمود تيمور



● أحمد شوقي (أمير الشعراء

وثيقة لم يتم تنفيذ بنودها
للأسباب الواردة فى الصفحات السابقة
ونص قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان
فى الحادى عشر من مارس عام ١٩٧٤

البـــاب الاول

اسس الحكـــم الذاتي

الفصـــل الاول

الاسس العـــامة

المادة الاولى :

أ ـ تتمتع منطقة كردستان بالحكم الذاتي وتسمى المنطقة حيثما وردت في هذا القانون ٠

ب ـ تتحدد المنطقة حيث يكون الاكراد غالبية سكانها ، ويثبت الاحصاء العام حدود المنطقة وفقا لما جاء في بيـان ١١ اذار ٠ وتعتبر قيود احصاء عام ١٩٥٧ اساسا لتحديد الطبيعة القومية للاغلبيـــة السكانية المطلقة في الاماكن التى سيجرى فيها الاحصاء العام (١) ٠

ج ـ تعتبر المنطقة وحدة ادارية واحدة لها شخصية معنـــوية تتمتع بالحكم الذاتي فى اطار الوحـــدة القانونية والسياسيـــة والاقتصادية للجمهورية العراقية ٠ وتجرى التقسيمات الادارية فيها وفقا لاحكام قانون المحافظات مع مراعاة احكام هذا القانون ٠

د ـ المنطقة جزء لايتجزأ من ارض العراق ، وشعبها جزءلايتجزأ من شعب العراق ٠

---

(١) نص قرار مجلس قيادة الثورة رقم ١١٥ تاريخ ١٩ـ١ـ٩٧١ على ان : (تعتبر قيود الاحصاء العام للنفوس الذى جرى عـام ١٩٥٧ اساسا في الاحصاء العام للنفوس المنوى اجراؤه) ٠

هـ ـ يكون مركز محافظة ـ اربيل ـ مركـــزا لادارة الحكم الذاتي

و ـ هيئات الحكم الذاتي جزء من هيئات الجمهورية العراقية ٠

المادة الثانية :

أ ـ تكون اللغة الكرديه لغة رسمية الى جانب اللغة العربية فــي المنطقــة ٠

ب ـ تكون اللغة الكردية لغة التعليم للاكراد في المنطقة ويكون تدريس اللغة العربية الزاميا في جميع مراحل التعليم ومرافقه ٠

ج ـ تنشأ مرافق تعليمية في المنطقة لابناء القومية العربيـــة يكون التعليم فيها باللغة العربية وتدرس اللغة الكردية الزاميا ٠

د ـ لابناء المنطقة كافة حق اختيار المدارس التي يرغبون التعلم فيها بصرف النظر عن لغتهم الام ٠

هـ ـ يخضع التعليم في جميع مراحله ، في المنطقة ، للسياسة التربوية والتعليمية العامة للدولة ٠

المادة الثالثة :

أ ـ حقوق وحريات ابناء القومية العربية والاقليات في المنطقة مصونة وفق احكام الدستور والقوانين والقرارات الصادرة بشأنهـا وتلتزم ادارة الحكم الذاتي بضمان ممارستها ٠

ب ـ يمثل ابناء القومية العربية والاقليات في المنطقة فيجميع هيئات الحكم الذاتي بنسبة عددهم الى سكان المنطقة ، ويشاركـون في تولي الوظائف العامة وفق القوانين والقرارات المنظمة لها ٠

المادة الرابعة :

القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون ، وتشكيلاته فـي المنطقة جزء لايتجزأ من التنظيم القضائي في الجمهورية العراقية

الفصـــل الثاني

الاسـس الماليـة

المادة الخامسة :
المنطقة وحدة مالية مستقلة ضمن وحدة مالية الدولة ٠

المادة السادسة :
أ ـ للمنطقة ميزانية خاصة ضمن الميزانية الموحدة للدولة ٠
ب ـ يتبع فى اعداد وتنظيم ميزانية المنطقة نفس القواعـــد والاسس التى تتبع فى اعداد الميزانية الموحدة للدولة٠

المادة السابعة :
تتكون ميزانية المنطقة من الاجزاء التالية
١ ـ الميزانية الجارية ٠
٢ ـ الميزانية الاستثمارية السنوية للمنطقة ٠
٣ ـ ميزانيات المؤسسات والمصالح الانتاجية ذات الطابـــع المحلى والمؤسسة في المنطقة ٠
٤ ـ ميزانيات الادارات المحلية والبلديات فى المنطقة ٠

المادة الثامنة :
تتالف موارد ميزانية المنطقة من العناصر التاليه .
أ ـ الموارد الذاتية وتتكون من :
١ ـ ايرادات الضرائب والرسوم المقررة للبلديات والادارات المحلية بموجب القوانين المختصة ٠
٢ ـ اثمان المبيعات واجور الخدمات ٠
٣ ـ الحصة المقررة من ارباح المصالح والمؤسسات المشمولـة بميزانية المنطقة ٠
٤ ـ ضريبة العقار الاساسية والاضافية ضمن المنطقة ٠
٥ ـ ضريبة الارض الزراعية وحصة الاصلاح الزراعى مـــن الحاصل ٠

٦ ـ ضريبة العرصات .
٧ ـ ضريبة التركات .
٨ ـ رسوم تسجيل العقار .
٩ ـ رسوم المحاكم والغرامات التى تفرضها .
١٠ ـ الطوابع المالية .
١١ ـ رسوم تسجيل السيارات ونقل ملكيتها .
ب ـ مايخصص فى الميزانية الاعتيادية للدولة والمنهاج الاستثمارى السنوى من خطة التنمية القومية لتغطية نفقات ميزانية المنطقة .

المادة التاسعة :
تخضع حسابات المنطقة لرقابة ديوان الرقابة المالية والتفتيش المالي .

الباب الثاني
هيئات الحكم الذاتى
الفصل الاول
المجلس التشريعى

المادة العاشرة :
المجلس التشريعى هو الهيئة التشريعية المنتخبة فى المنطقة ويتحدد تكوينه وتنظيمه وسير العمل فيه بقانون .
المادة الحادية عشرة :
أ ـ ينتخب المجلس التشريعي رئيسا له ونائبا للرئيس وامينا للسر من بين اعضائه .
ب ـ تنعقد جلسات المجلس بحضور اغلبية عدد اعضائه وتتخذ قراراته باغلبية عدد الحاضرين الا اذا نص على خلاف ذلك في هذا القانون او قانون المجلس التشريعي .
المادة الثانية عشرة
يمارس المجلس التشريعي فيحدود الدستوروالقوانين الصلاحيات التاليـة :
آ ـ وضع نظامه الداخلي .

ب ـ اتخاذ القرارات التشريعية اللازمة لتطوير المنطقة والنهوض بمرافقها الاجتماعية والثقافية والعمرانية والاقتصادية ذات الطابع المحلى في حدود السياسة العامة للدولة •

ج ـ اتخاذ القرارات التشريعية التي تتعلق بتطوير الثقافة والخصائص والتقاليد القومية للمواطنين في المنطقة •

د ـ اتخاذ القرارات التشريعية الخاصة بالدوائر شبه الرسمية والموءسسات والمصالح ذات الطابع المحلى بعد التشاور مع الجهات المركزية المختصة •

هـ ـ التصديق على مشروعات الخطط التفصيلية التي يعدها المجلس التنفيذى في الشوءون الاقتصادية والاجتماعية والمشاريع الانمائية وشوءون التربية والتعليم والصحة والعمل وفقا لمقتضيات التخطيط المركزى العام للدولة ومتطلبات تطبيقه •

و ـ اقتراح الميزانية الخاصة بالمنطقة •

ز ـ اقرار الحسابات الختامية بعد تدقيقها من قبل ديوان الرقابة المالية ورفعها الى السلطة التشريعية للتصديق عليها •

ح ـ ادخال التعديلات على الميزانية الخاصة بالمنطقة بعد التصديق عليها ، في حدود المبالغ المخصصة والاغراض التي خصصت من اجلها على ان لايتعارض ذلك مع القوانين وخطط التنمية في الدولة

ط ـ مناقشة ومساءلة اعضاء المجلس التنفيذى في الشؤون التي تدخل في اختصاصاتهم •

ى ـ طرح الثقة بالمجلس التنفيذى او بواحد او اكثر من اعضائه ، ويعفى من مهمته من سحبت الثقة منه • ويتخذ قرارسحب الثقة باغلبية عدد الاعضاء المكونين للمجلس التشريعي •

الفصل الثاني
المجلس التنفيذى

المادة الثالثة عشرة :

أ ـ المجلس التنفيذى هو الهيئة التنفيذية لادارة الحكم الذاتي في المنطقة •

ب ـ يتكون المجلس التنفيذى من الرئيس ونائبه. وعدد من الاعضاء مساو لعدد الادارات الوارد ذكرها فى المادة الرابعة عشرة او يزيد عليه بعضوين ٠

ج ـ يكلف رئيس الجمهورية احد اعضاء المجلس التشريعى برئاسة وتشكيل المجلس التنفيذى ٠

د ـ يختار الرئيس المكلف اعضاء المجلس التنفيذى ونائبا له من بين اعضاء المجلس التشريعى او ممن تتوفر فيهم شروط العضوية فيه ٠ ويتقدم الى المجلس التشريعى بطلب الثقة ، وعند حصول الثقة باغلبية عدد الاعضاء المكونين للمجلس يصدر مرسوم جمهورى بتشكيل المجلس التنفيذى ٠

هـ ـ يكون رئيس واعضاء المجلس التنفيذى بدرجة وزير ٠

و ـ لرئيس الجمهورية اعفاء رئيس المجلس التنفيذى من منصبه وفي هذه الحالة يعتبر المجلس منحلا ٠

ز ـ في حالة حل المجلس التنفيذى او سحب الثقة منه يستمر المجلس بتصريف الامور الجارية فقط الى حين تشكيل مجلس جديد على الا يتجاوز ذلك مدة اقصاها خمسة عشر يوما ٠

المادة الرابعة عشرة :

أ ـ ترتبط محافظات المنطقة برئيس المجلس التنفيذى ٠

ب ـ يستعين المجلس التنفيذى فى ممارسة صلاحياته بالمكاتب التالية :

١ ـ مكتب المجلس التنفيذى ٠
٢ ـ مكتب المتابعة والتفتيش ٠
٣ ـ مكتب الاحصاء والتخطيط ٠

ج ـ ترتبط بالمجلس التنفيذى الادارات التالية :

١ ـ ادارة التربية والتعليم ٠
٢ ـ ادارة الاشغال والاسكان ٠
٣ ـ ادارة الزراعة والاصلاح الزراعى
٤ ـ ادارة الشؤون الداخلية (٣) ٠

---

(٣) وتشمل الشرطة والدفاع المدنى والاحوال المدنية ٠

٥ ـ ادارة النقل والمواصلات ٠
٦ ـ ادارة الثقافة والشباب ٠
٧ ـ ادارة البلديات والمصايف ٠
٨ ـ ادارة الشؤون الاجتماعية (٤) ٠
٩ ـ ادارة الشؤون الاقتصادية والمالية (٥)
١٠ ـ ادارة شؤون الاوقاف ٠

د ـ يتولى مسوءولية الأدارات الوارد ذكرها فى الفقرة السابقة اعضاء من المجلس التنفيذى يدعون (الامناء العامون) ويكون لكل منهم نائب بدرجة مدير عام ٠

المادة الخامسة عشرة :

يمارس المجلس التنفيذى الصلاحيات التالية :

أ ـ ضمان تنفيذ القوانين والانظمة ٠

ب ـ الالتزام باحكام القضاء ٠

جـ ـ اشاعة العدالة وحفظ الامن والنظام العام وحماية المرافق العامة الوطنية والمحلية واموال الدولة العامة والخاصة ٠

د ـ اصدار القرارات فى كل ماتستلزمه ضرورات تطبيق احكام القرارات التشريعية المحلية ٠

هـ ـ اعداد مشروعات الخطط التفصيلية للشؤون الاقتصادية والاجتماعية والمشاريع الانمائية وشؤون التربية والتعليم والصحة والعمل وفقا لمقتضيات التخطيط المركزى العام للدولة ومتطلبات تطبيقه ورفعها الى المجلس التشريعى للتصديق عليها ٠

و ـ الاشراف على المرافق والموءسسات العامة المحلية فى المنطقة ٠

ز ـ تعيين موظفى ادارة الحكم الذاتى الذين لايتطلب تعيينهم اصدار مرسوم جمهورى او موافقة رئيس الجمهورية ، وفق قوانين

---

(٤) وتشمل الصحة والعمل والشؤون الاجتماعية ٠

(٥) وتضمن مرافق التجارية والصناعية المحلية والدوائر المالية

الخدمة والملاك ، وتسرى عليهم احكام القوانين المطبقة على موظفي الجمهورية العراقية ، على ان يكون الموظفون في التقسيمات الادارية التي تسكنها اغلبية كردية من الاكراد او ممن يحسنون اللغة الكردية مع مراعاة ماجاء في المادة الثالثة من هذا القانون ٠

ح — تنفيذ ميزانية المنطقة وفق القوانين والاسس المعتمدة في النظام المحاسبي الدولة ٠

ط اعداد تقرير سنوى عن اوضاع المنطقة يرفع لرئيس الجمهورية وللمجلس التشريعي ٠

الباب الثالث

العلاقة بين السلطة المركزية وادارة الحكم الذاتي

المادة السادسة عشرة

ماخلا الصلاحيات التي تمارسها هيئات الحكم الذاتي وفقا لاحكام هذا القانون تعود ممارسة السلطة في جميع ارجاء الجمهورية العراقية الى الهيئات المركزية او من يمثلها ٠

المادة السابعة عشرة :

أ — ترتبط تشكيلات الشرطة والامن والجنسية في المنطقة بمديرياتها العامة في وزارة الداخلية وتسرى على منتسبيها احكام القوانين والانظمة والتعليمات المطبقة في الجمهورية العراقية ٠

ب — لرئيس المجلس التنفيذي او من يخوله من اعضاء المجلس ان يعهد الى التشكيلات الوارد ذكرها في الفقرة (أ) من هذه المادة بواجبات ضمن المنطقة في حدود وظائفها وفي إطار السياسة العامة للدولة ٠

جـ ـ يعين وينقل مديرو التشكيلات الوارد ذكرها في الفقرة (أ) من هذه المادة بأمر من وزير الداخلية بعد التشاور مع رئيس المجلس التنفيذي ·

د ـ ينقل منتسبو الشرطة ضمن المنطقة بأمر من امين ادارة الشوءون الداخلية او من يخوله مع مراعاة ماجاء في الفقرة من هذه المادة ·

هـ ـ يعين وينقل منتسبو التشكيلات الوارد ذكرها في الفقرة (أ) من هذه المادة وفق القواعد والصلاحيات المعمول بها في الجمهورية العراقية مع مراعاة ماجاء في الفقرات السابقة ·

المادة الثامنة عشرة :

أ ـ دوائر السلطة المركزية في المنطقة تخضع للوزارات التابعة لها وتمارس عملها في حدود اختصاصاتها ، ولهيئات الحكم الذاتي رفع التقارير عنها الى الوزارات التابعة لها ·

ب ـ للسلطة المركزية في حدود اختصاصاتها حق التوجيه العام للادارات المحلية الوارد ذكرها في المادة الرابعة عشرة من هذا القانون ·

جـ ـ تعين السلطة المركزية وزيرا للدولة يقوم بالتنسيق بين النشاط الذي تمارسه في المنطقة كل من السلطة المركزية وهيئات الحكم الذاتي ، وله ان يحضر جميع اجتماعات هذه الهيئات وللسلطة المركزية ان تنتدب ايا من الوزراء الاخرين للقيام بذات المهمة ·

د ـ تبلغ قرارات هيئات الحكم الذاتي لوزير الدولة فور صدورها ·

هـ ـ يحضر رئيس المجلس التنفيذي اجتماعات مجلس الوزراء

المادة التاسعة عشرة :

أ ـ تمارس الرقابة على مشروعية قرارات هيئات الحكم الذاتي محكمة تمييز العراق في هيئة خاصة تتكون من رئيس المحكمة واربعة

اعضاء يختارهم اعضاء محكمة التمييز من بينهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .

ب ـ لوزير العدل او وزير الدولة ان يطعن في قرارات هيئات الحكم الذاتي امام هيئة الرقابة ، الوارد ذكرها في الفقرة السابقة لمخالفتها الدستور او القوانين او الانظمة وذلك خلال ثلاثين يوما من تاريخ تبليغ وزير الدولة بها .

ج ـ الطعن في قرارات هيئات الحكم الذاتي امام هيئة الرقابة يوقف تنفيذها حتى نتيجة الفصل فيه .

د ـ تفصل هيئة الرقابة في الطعن خلال مدة اقصاها ثلاثون يوما من تاريخ تقديمه اليها ، وتكون قراراتها قطعية .

هـ ـ تعتبر قرارات هيئات الحكم الذاتي التي تقرر هيئة الرقابة عدم مشروعيتها ملغاة كلا او جزءا من تاريخ صدورها وتزال جميع الاثار القانونية التي ترتبت عليها .

و ـ تبلغ هيئة الرقابة قراراتها الى الجهة الطاعنة والى رئيس المجلس التشريعي والمجلس التنفيذي وتنشر في الجريدة الرسمية .

المادة العشرون :

أ ـ لرئيس الجمهورية ان يحل المجلس التشريعي في حالة تعذر ممارسته لصلاحياته لصلاحياته بسبب استقالة نصف اعضائه، او عدم توافر النصاب القانوني خلال ثلاثين يوما من تاريخ دعوته للانعقاد ، او بسبب عدم منحه الثقة المنصوص عليها في الفقرة (د) من المادة الثالثة عشرة من هذا القانون لاكثر من مرتين متتاليتين او في حالة عدم امتثاله لقرارات هيئة الرقابة المنصوص عليها في المادة التاسعة عشرة من هذا القانون .

ب ـ في حالة حل المجلس التشريعي يستمر المجلس التنفيذي في ممارسة صلاحياته الى حين انتخاب المجلس التشريعي الجديد في مدة اقصاها تسعون يوما من تاريخ صدور المرسوم الجمهوري بحله .

المراجـع الرئيسـية

● الأكراد - باسيل نيكيتين (دار الروائع ١٩٥٩)
● تركيا بين جبارين - باسيل دقاق (دار المكشوف ١٩٤٧)
● قصص وأساطير كردية - صالح رشدى (منشورات دار المكتبة العصرية - صيدا (لبنان)
● المسألة الكردية فى العراق - عزيز شريف .
● الكرد والمسألة الكردية - د . شاكر خصباك (بغداد ١٩٧٢)
● الأكراد - جلال طالبانى .
● الأكراد .. من هم ؟ وإلى أين ؟ - كاظم حيدر منشورات الفكر الحر - بيروت ١٩٥٥)
● العراق قديما وحديثا - السيد عبدالرازق الحسينى (دار اليقظة العربية ، بغداد ، الطبعة السابعة ١٩٨٢)
● الأكراد فى نظر العلم - د . محمد رشيد الفيل .

- Driver, G. R.
  Kurds and Kurdistan : London 1920
- Ghassemlow, Abdul Rahman.,
  Kurdistan and the Kurds,
  Prague, 1965
- Nikitin, B, : (Les Kurdes) paris 1956
- Minorisky, : (The Kurds):,
  Encyclopedia of Islam, London



رقم الايداع بدار الكتب ٤٣٧٩ / ١٩٩١

الترقيم الدولى ISBN977 – 08 – 0121 – 6



مؤلف هذا الكتاب

- تخرج في كلية الآداب . جامعة القاهرة .
- انضم الى اسرة تحرير الأخبار عام ١٩٦٤ وتولى رئاسة القسم الخارجي ثم اصبح نائبا لرئيس التحرير .

كتب المئات من التحقيقات الخارجية والتعليقات واليوميات في صحف مؤسسة اخبار اليوم .

- مدير تحرير مجلة « الكاتب » الثقافية (من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣)
- مدير تحرير مجلة « البلاغ » اللبنانية (١٩٧٥ حتى ١٩٧٦)
- سافر الى عدة دول واجرى لقاءات مع عدد من القادة .
- قام بتغطية وقائع حروب وثورات وحركات تحرير (نيجيريا - فيتنام - غينيا - نيكاراجوا - الصين - الكونغو - كوبا - لبنان ....)
- شارك في عديد من المؤتمرات الدولية لاتحاد الصحفيين العالمي والتضامن الافرو - اسيوى .
- عضو اللجنة المصرية للتضامن ومنظمة حقوق الانسان واتحاد كتاب آسيا وافريقيا .
- صدرت له عدة مؤلفات وترجمات :

« فيتنام : الجريمة والمأساة » - « بطل من فيتنام » - « الفكر السياسى الأمريكي والعالم » - « سارتر .. مفكرا وانسانا (مع آخرين) » - « اعترافات كيسنجر » - « نوبار في مصر » .





٢٥٠ قرشاً

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم